عبد المعز خطاب



قصص الحيوان في القرآن

الدار الذهبية

الدار الذهبية للطبع والنشر والتوزيع
تليفون :: ٣٥٥١٧٤٨ ـ ٣٥٤٤٧٤٨ فاكس ٣٥٤٦٠٣١

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة

الحمد لله وسلام على عباده الذين اصطفى .. وبعــد :

فإن الكائنات يرتبط بعضها ببعض (والإنسان على قمتها) ، لقد كرمه الله وأودع فيه أسراره :﴿ وَلَقَدْ كَرَّمْنَا بَنِيٓ ءَادَمَ وَحَمَلْنَٰهُمْ فِى ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ وَرَزَقْنَٰهُم مِّنَ ٱلطَّيِّبَٰتِ وَفَضَّلْنَٰهُمْ عَلَىٰ كَثِيرٍ مِّمَّنْ خَلَقْنَا تَفْضِيلًا ﴿٧٠﴾ ﴾ [الإسراء: الآية ٧٠] .

والإنسان : يتميز على الحيوان بالعقل ، ويشاركه فى الأكل والشرب والنمو والحركة .

والحيوان : يتميز على النبات بالحركة ، ويشاركه فى الأكل والشرب والنمو .

والنبات : يتميز على الجماد بالنمو .

والإنسان يعيش على الحيوان والنبات ، **والحيوان** يعيش على النبات ، **والنبات** يعيش على الجماد .

وهناك كائنات خفية لا يعلمها إلا الله ، ولا يراها الإنسان (كالملائكة والجن) .

والملائكة : مخلوقات نورانية لا يأكلون ولا يشربون ، ولا يأتون الشهوات ، ولا يعصون الله ما أمرهم ، ويفعلون ما يؤمرون .

والجن كالإنس يأكلون ويشربون ويتزاوجون ، ومنهم البار ومنهم الفاجر .

وهذا الكتاب محاولة لاستقراء حياة الحيوان ، ولا أقصد بالحيوان (الثدييات) وإنما يدخل فى ذلك الطيور والحشرات والزواحف ، وكلها يطلق عليها (حيوان) .

والقرآن الكريم احتشد بأنواع مختلفة من الحيوان ، واقترن كل نوع بقصة فيها (العظة والعبرة) .

فالكتاب يلقى الأضواء على الحيوان ، ثم يعرض لتناول القرآن الكريم له بعيداً عن التعمق العلمى والاختلافات التفسيرية .

فالكتاب يتحدث للناشئة ولا يريد أن يشتت أفكارهم ، وإنما يسوق المعلومة سهلة ميسرة .

ودواب الأرض كثيرة ، والدابة كل ما يدب على وجه الأرض من الفيل إلى النملة ، والله يقول : ﴿وَمِنْ ءَايَـٰتِهِۦ خَلْقُ ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَمَا بَثَّ فِيهِمَا مِن دَآبَّةٍ ۚ ﴿٢٩﴾﴾ [الشورى: الآية ٢٩] ، وكل الدواب تسجد لله طائعة : ﴿وَلِلَّهِ يَسْجُدُ مَا فِى ٱلسَّمَـٰوَٰتِ وَمَا فِى ٱلْأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَٱلْمَلَـٰٓئِكَةُ وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ ﴿٤٩﴾﴾ [النحل: الآية ٤٩] .

والإنسان إذا فقد عقله ، وعبد غير ربه يعتبر أشر من الدواب ﴿إِنَّ شَرَّ ٱلدَّوَآبِّ عِندَ ٱللَّهِ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ ﴿٥٥﴾﴾ [الأنفال: الآية ٥٥] .

﴿وَلَوْ يُؤَاخِذُ ٱللَّهُ ٱلنَّاسَ بِمَا كَسَبُوا۟ مَا تَرَكَ عَلَىٰ ظَهْرِهَا مِن دَآبَّةٍ وَلَـٰكِن يُؤَخِّرُهُمْ إِلَىٰٓ أَجَلٍ مُّسَمًّى ﴿٤٥﴾﴾ [فاطر: الآية ٤٥] .

﴿رَبَّنَا لَا تُؤَاخِذْنَآ إِن نَّسِينَآ أَوْ أَخْطَأْنَا ۚ ﴿٢٨٦﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٨٦] .

عبد المعز خطاب

١ - البقــرة



حيوان أليف نافع للإنسان ، يأكل لحمها ويشرب ألبانها ، ويستخدم جلودها فى أغراض متعددة .

والبقرة تعاون فى جر المحراث والساقية ، ويستفيد منها الإنسان حتى (بالفرث) وهو الأوساخ فى الكرش ، كسماد طبيعى للزراعة ، وقد ذللها الله تبارك وتعالى للطفل يقودها بلا متاعب .

وقد سميت بها أطول سورة فى القرآن هى (سورة البقرة) ، وسورة البقرة أول سورة نزلت بعد الهجرة (وفيها أغلب التشريع الإسلامى) ويطلق عليها (سورة الأتقياء) لأن التقوى ذكرت بها كثيراً .

قصة البقرة :

بعد أن استقر (بنو إسرائيل) فى سيناء ، وقد شق الله لهم فى البحر طريقاً عبروا منه إلى الشاطئ الشرقى لسيناء ، وأهلك فرعون ومن معه ، كثرت الجرائم ، قتلوا وسرقوا ، وفعلوا المنكرات ، وأنزل الله (التوراة) فيها الأحكام وعقاب المنحرفين .

وحدث أن قتيلاً فيهم سقط وهم يعلمون القاتل ، ولكنهم سكتوا خوفاً من بأسه ، وحاول موسى أن يتوصل للقاتل فلم يستطع ، فأراد الله - عز وجل - أن يهزهم بآية يبان منها حقيقة القاتل ، فأمر موسى عليه السلام أن يطلب منهم ذبح بقرة ، وكان الطلب مفاجأة لهم ، وسخروا من موسى وقالوا : هل الله فى حاجة إلى ذبح بقرة ، وظنوا أنه يستهزئ بهم ، ولكنه أكد لهم هذا الأمر الإلهى .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ ﴿٦٧﴾﴾ [البقرة: الآية ٦٧] .

وأراد الله أن يقوموا بذبح بقرة - أى بقرة بدون شروط - لكنهم كعادتهم تلكأوا وطلبوا من موسى عليه السلام أن يسأل ربه عن ماهية البقرة ، مع أن البقرة حيوان معروف حتى للأطفال .

﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦٓ إِنَّ ٱللَّهَ يَأْمُرُكُمْ أَن تَذْبَحُوا۟ بَقَرَةً ۖ قَالُوٓا۟ أَتَتَّخِذُنَا هُزُوًا ۖ قَالَ أَعُوذُ بِٱللَّهِ أَنْ أَكُونَ مِنَ ٱلْجَٰهِلِينَ قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ ۚ ﴿٦٨﴾﴾ [البقرة: الآية ٦٧ ، ٦٨] ، ودعا موسى ربه فأخبره أن يختار بقرة متوسطة لا هى بالكبيرة فى السن ، ولا هى بالصغيرة ، وإنما هى وسط : ﴿ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا فَارِضٌ وَلَا بِكْرٌ عَوَانٌۢ بَيْنَ ذَٰلِكَ ۖ فَٱفْعَلُوا۟ مَا تُؤْمَرُونَ ﴿٦٨﴾﴾ [البقرة: الآية ٦٨] . ولكنهم لم يقوموا بذبح البقرة المطلوبة ، وسألوا موسى عليه السلام عن لونها ، وكأن البقر مئات الألوان (والمعروف أن ألوان البقر محددة) ، ودعا موسى ربه فأخبره أن اللون أصفر كالذهب ، تسعد الذى ينظر إليها : ﴿قَالُوا۟ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا لَوْنُهَا ۚ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ صَفْرَآءُ فَاقِعٌ لَّوْنُهَا تَسُرُّ ٱلنَّٰظِرِينَ ﴿٦٩﴾﴾ [البقرة: الآية ٦٩] .

وكان عليهم أن يسارعوا بذبحها ، لكنهم عادوا من جديد يسألون عن ماهية البقرة بحجة أن الأمر اختلط عليهم ، وأنهم جادون فى ذبحها ، ودعا

موسى عليه السلام ربه فشدد الله عليهم بعد أن كانت أى بقرة - أى لون ، وأى سن - أصبحت بقرة صفراء كلون الذهب لم تستخدم فى المحراث ولا الساقية ليس فيها أى مرض ولا أى عيب ، وعندئذ شددوا على أنفسهم وبحثوا عنها ، فلم يجدوا إلا بقرة عند رجل يهودى تغالى فى ثمنها أضعاف أضعاف ما يدفع للبقرة العادية ، فلما شدد الله عليهم خضعوا للأمر ، وهذه طبيعة الإسرائيليين يحبون التعنت والتشدد : ﴿ قَالُواْ ٱدْعُ لَنَا رَبَّكَ يُبَيِّن لَّنَا مَا هِىَ إِنَّ ٱلْبَقَرَ تَشَٰبَهَ عَلَيْنَا وَإِنَّآ إِن شَآءَ ٱللَّهُ لَمُهْتَدُونَ ﴿٧٠﴾ قَالَ إِنَّهُۥ يَقُولُ إِنَّهَا بَقَرَةٌ لَّا ذَلُولٌ تُثِيرُ ٱلْأَرْضَ وَلَا تَسْقِى ٱلْحَرْثَ مُسَلَّمَةٌ لَّا شِيَةَ فِيهَا ۚ قَالُواْ ٱلْـَٰٔنَ جِئْتَ بِٱلْحَقِّ ۚ فَذَبَحُوهَا وَمَا كَادُواْ يَفْعَلُونَ ﴿٧١﴾ ﴾ [البقرة : الآيات ٧٠- ٧١]

وأمر الله موسى أن يأخذ عضواً منها (قيل الذيل) وأن يضرب به القتيل فيحييه الله ويدل على القاتل ، ونهض القتيل وأشار إلى القاتل ، فأقام موسى عليه الحد ، وهو القتل كما تقول بذلك الشريعة ، وفضح الله الذين أنكروا معرفة القاتل ﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْسًا فَٱدَّٰرَٰٔتُمْ فِيهَا ۖ وَٱللَّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ ﴿٧٢﴾ فَقُلْنَا ٱضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا ۚ كَذَٰلِكَ يُحْىِ ٱللَّهُ ٱلْمَوْتَىٰ وَيُرِيكُمْ ءَايَٰتِهِۦ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ ﴿٧٣﴾ ﴾ [البقرة : الآيتان ٧٢، ٧٣] .

وبمجرد أن دل القتيل على القاتل مات ثانية ، فليس له أن يعيش بعد أن مات أولاً ، وإنما أحياه الله لعبرة .

وكان اليهود ينكرون البعث وقيام الأموات يوم القيامة للحساب ، فرأوا البعث مجسداً فى هذه الآية .

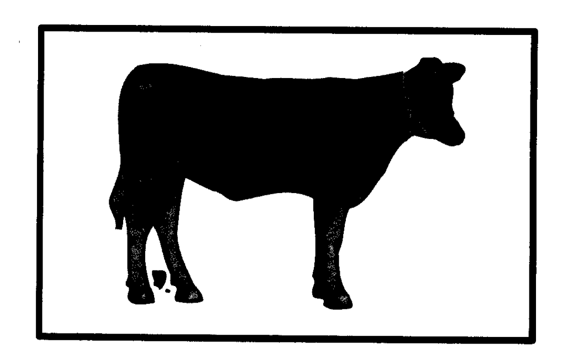
واختتم الله القصة بوصف اليهود بالقسوة حتى صارت قلوبهم أشد من الحجارة ، ومع ذلك الحجارة تخشع لله ، وتأتى بالخير ، فالأنهار تخرج من الحجارة عند المنابع ، والحجارة تحتضن الماء فى باطن الأرض ، فتكون العيون : ﴿ ثُمَّ قَسَتْ قُلُوبُكُم مِّنۢ بَعْدِ ذَٰلِكَ فَهِىَ كَٱلْحِجَارَةِ أَوْ أَشَدُّ قَسْوَةً ۚ وَإِنَّ مِنَ ٱلْحِجَارَةِ لَمَا يَتَفَجَّرُ مِنْهُ ٱلْأَنْهَٰرُ ۚ وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَشَّقَّقُ فَيَخْرُجُ مِنْهُ ٱلْمَآءُ ۚ

وَإِنَّ مِنْهَا لَمَا يَهْبِطُ مِنْ خَشْيَةِ ٱللَّهِ ۗ وَمَا ٱللَّهُ بِغَٰفِلٍ عَمَّا تَعْمَلُونَ ﴿٧٤﴾ ﴾
[البَقَرَة : الآية ٧٤] .

ونصف سورة البقرة الأول فضح اليهود ، وكشف عن تاريخهم الأسود ، وحذر المسلمين منهم .

* * *

٢ - العجل الذهبى



العجل : من فصيلة الأبقار ، وهو الذكر الذى يقوم بتلقيح الأبقار ، ويساعد فى جر الساقية والمحراث .

والعجل : أقوى بدنياً من البقرة ، وقد عبدته الشعوب القديمة مثل (قدماء المصريين) عبدوا (العجل أبيس) لأنه كان رمزاً للقوة والخصوبة .

قصة العجل الذهبى :

بنو إسرائيل وثنيون لا يخلصون الإيمان (وهم فى مصر عبدوا آلهة المصريين) ولما عبر بهم سيدنا موسى عليه السلام البحر ، وأهلك الله فرعون أمام أعينهم مروا بقوم يسجدون للأصنام ، فطلبوا من موسى عليه السلام أن يصنع لهم صنماً يعبدونه من دون الله ، ودهش موسى عليه السلام بدل أن يشكروا الله ويخلصوا فى عبادته يريدون عبادة غير الله ، ومن الذى سيصنع لهم الصنم نبيهم موسى ، وعنفهم سيدنا موسى عليه السلام وذكرهم بخالقهم المستحق للعبادة : ﴿وَجَٰوَزْنَا بِبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ ٱلْبَحْرَ فَأَتَوْا۟ عَلَىٰ قَوْمٍ يَعْكُفُونَ عَلَىٰٓ أَصْنَامٍ لَّهُمْ ۚ قَالُوا۟ يَٰمُوسَى ٱجْعَل لَّنَآ

إِلَٰهًا كَمَا لَهُمْ ءَالِهَةٌ ۚ قَالَ إِنَّكُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ ﴿١٣٨﴾ إِنَّ هَٰٓؤُلَآءِ مُتَبَّرٌ مَّا هُمْ فِيهِ وَبَٰطِلٌ مَّا كَانُوا۟ يَعْمَلُونَ ﴿١٣٩﴾ قَالَ أَغَيْرَ ٱللَّهِ أَبْغِيكُمْ إِلَٰهًا وَهُوَ فَضَّلَكُمْ عَلَى ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٠﴾﴾ [الأعراف : الآيات ١٣٨- ١٤٠] .

قبل أن يخرج بنو إسرائيل من مصر سرقوا حلى المصريين ، كل امرأة من الإسرائيليات اقترضت من جارتها المصرية حليها بحجة التزين بها فى عرس وهى تعلم أنها خارجة من مصر ولا عودة ثانية ، وجمعت الإسرائيليات كمية كبيرة من الحلى .

وعبر موسى عليه السلام ببنى إسرائيل البحر وأهلك الله فرعون أمام أعينهم ، والله يذكر بنى إسرائيل بهذا ﴿وَإِذْ فَرَقْنَا بِكُمُ ٱلْبَحْرَ فَأَنجَيْنَٰكُمْ وَأَغْرَقْنَآ ءَالَ فِرْعَوْنَ وَأَنتُمْ تَنظُرُونَ ﴿٥٠﴾﴾ [البقرة : الآية ٥٠] .

ولما استقر بنو إسرائيل فى سيناء ذهب موسى عليه السلام لمناجاة ربه ، وتلقى الألواح ، وفيها الشريعة ، وترك (هارون) خليفة له ، ليدير شئونهم .

وبينما موسى عليه السلام فى رحلته المقدسة انتهز رجل فاجر منهم يسمى (السامرى) الفرصة ، وكان ماهراً فى صناعة التماثيل ، فطلب من بنى إسرائيل أن يتخلصوا من الحلى التى سرقوها من المصريين ، حتى يرضى الله عنهم ، وجاءوا بكميات هائلة ورموا بها فى حفرة كبيرة أعدها السامرى لصهرها .

ثم أخذ السامرى الحلى وصهرها وصنع منها عجلاً رائعاً يكاد أن ينطق باللون الذهبى ، وفاجأ بنى إسرائيل بذلك ، ولما كشف لهم عن العجل الذهبى عشقوه وأخبرهم السامرى أن هذا هو الإله الذى كان يعبده موسى بعيداً عنهم ، ونسى أن يخبرهم به ، فخر القوم ساجدين له ، وحاول (هارون) أن يمنعهم وحذرهم من عاقبة ذلك ، فأغلظوا عليه القول ، وتكاثروا عليه ، وكادوا يقتلونه ، وأخبر الإسرائيليون هارون أنهم سيظلون يسجدون للعجل حتى يعود موسى من لقاء ربه ، ولما وصل سيدنا موسى

إلى الجبل للقاء الله أخبره أن قومه قد عبدوا العجل الذى صنعه لهم السامرى .

وعاد موسى عليه السلام حزيناً يقتله الغضب ، وفى ثورة الغضب ألقى الألواح التى تلقاها من ربه ، وأقبل على أخيه هارون يريد أن يقتله ، وقد ظن أنه تهاون فى ذلك ، وكان هارون حليماً ، فأقنع موسى أنه بذل الجهد لصرفهم عن عبادة العجل ، لكنهم هددوه ، وهدأ موسى وأخذ الألواح واعتذر لأخيه .

﴿وَلَمَّا رَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا قَالَ بِئْسَمَا خَلَفْتُمُونِى مِنۢ بَعْدِىٓ ۖ أَعَجِلْتُمْ أَمْرَ رَبِّكُمْ ۖ وَأَلْقَى ٱلْأَلْوَاحَ وَأَخَذَ بِرَأْسِ أَخِيهِ يَجُرُّهُۥٓ إِلَيْهِ ۚ قَالَ ٱبْنَ أُمَّ إِنَّ ٱلْقَوْمَ ٱسْتَضْعَفُونِى وَكَادُوا۟ يَقْتُلُونَنِى فَلَا تُشْمِتْ بِىَ ٱلْأَعْدَآءَ وَلَا تَجْعَلْنِى مَعَ ٱلْقَوْمِ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿١٥٠﴾﴾ [الأعراف : الآية ١٥٠] .

وواجه موسى قومه وسألهم لم فعلتم ذلك ، وانتهزتم فرصة غيابى وعبدتم العجل ، أما خفتم أن ينزل بكم غضب الله ، وأن يهلككم كما أهلك الأمم السابقة ، فقالوا له : إنا أردنا أن نتخلص من الحلى الذى سرقناه من مصر وغرر بنا السامرى وصنع منه العجل لكنه عجل بلا روح لا يتحرك وهو جماد لا يملك لهم ضراً ولا نفعاً ﴿فَرَجَعَ مُوسَىٰٓ إِلَىٰ قَوْمِهِۦ غَضْبَٰنَ أَسِفًا ۚ قَالَ يَٰقَوْمِ أَلَمْ يَعِدْكُمْ رَبُّكُمْ وَعْدًا حَسَنًا ۚ أَفَطَالَ عَلَيْكُمُ ٱلْعَهْدُ أَمْ أَرَدتُّمْ أَن يَحِلَّ عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّكُمْ فَأَخْلَفْتُم مَّوْعِدِى ﴿٨٦﴾ قَالُوا۟ مَآ أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلْكِنَا وَلَٰكِنَّا حُمِّلْنَآ أَوْزَارًا مِّن زِينَةِ ٱلْقَوْمِ فَقَذَفْنَٰهَا فَكَذَٰلِكَ أَلْقَى ٱلسَّامِرِىُّ ﴿٨٧﴾ فَأَخْرَجَ لَهُمْ عِجْلًا جَسَدًا لَّهُۥ خُوَارٌ فَقَالُوا۟ هَٰذَآ إِلَٰهُكُمْ وَإِلَٰهُ مُوسَىٰ فَنَسِىَ ﴿٨٨﴾ أَفَلَا يَرَوْنَ أَلَّا يَرْجِعُ إِلَيْهِمْ قَوْلًا وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا ﴿٨٩﴾﴾ [طه : الآيات ٨٦- ٨٩] .

وأقبل موسى على السامرى صاحب الفتنة ، وصانع العجل ، وسأله لم فعلت هذا ، فقال السامرى : لما ذهبت لملاقاة ربك علمت أن جبريل معك ،

وأنه خطا هناك فسول لى الشيطان إذا أخذت من التراب الذى مشى عليه جبريل وخلطته بالذهب فسيصنع عجل أشبه ما يكون بالعجل الحقيقى ، وأنا أعلم أن الإسرائيليين يعشقون الذهب ﴿قَالَ فَمَا خَطْبُكَ يَٰسَٰمِرِيُّ ۝٩٥ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُواْ بِهِۦ فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِّنْ أَثَرِ ٱلرَّسُولِ فَنَبَذْتُهَا وَكَذَٰلِكَ سَوَّلَتْ لِى نَفْسِى ۝٩٦﴾ [طه : الآية ٩٥ - ٩٦] .

فطرده موسى من بنى إسرائيل ، وحكم عليه بالنفى الأبدى ، ويُقال إنه دعا عليه فأصيب بمرض الحساسية لا يحتمل أن يمسه أحد ، وقيل : إن الطريد من بنى إسرائيل كان يؤمن نفسه بقوله (لا مساس) لا تمسونى فأنا مذموم .

وأخبره موسى عليه السلام أن العجل سينسف نسفاً ، ويذر به فى الهواء ليختلط بالماء ، وأعلن أن الإله المستحق للعبادة هو الله : ﴿ قَالَ فَٱذْهَبْ فَإِنَّ لَكَ فِى ٱلْحَيَوٰةِ أَن تَقُولَ لَا مِسَاسَ ۖ وَإِنَّ لَكَ مَوْعِدًا لَّن تُخْلَفَهُۥ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰٓ إِلَٰهِكَ ٱلَّذِى ظَلْتَ عَلَيْهِ عَاكِفًا ۖ لَّنُحَرِّقَنَّهُۥ ثُمَّ لَنَنسِفَنَّهُۥ فِى ٱلْيَمِّ نَسْفًا ۝٩٧ إِنَّمَآ إِلَٰهُكُمُ ٱللَّهُ ٱلَّذِى لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ۚ وَسِعَ كُلَّ شَىْءٍ عِلْمًا ۝٩٨﴾ .
[طه : الآيات ٩٧- ٩٨]

والله ندد بعباد العجل ، ووعدهم بخزى فى الدنيا وعذاب شديد فى الآخرة ﴿ إِنَّ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ ٱلْعِجْلَ سَيَنَالُهُمْ غَضَبٌ مِّن رَّبِّهِمْ وَذِلَّةٌ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۚ وَكَذَٰلِكَ نَجْزِى ٱلْمُفْتَرِينَ ۝١٥٢﴾ [الأعراف : الآية ١٥٢]

ولقد أراد من عبدوا العجل أن يكفروا عن خطيئتهم ، فنصحهم موسى عليه السلام بالتوبة المقرونة بالموت ، وأرسل الله عليهم سحابة أعمت العيون ، فنهض الذين تمسكوا بالتوحيد وأعملوا السيوف فى الذين عبدوا العجل حتى قضوا عليهم ، وقيل : إن الله قبل توبتهم وغفر لهم ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِقَوْمِهِۦ يَٰقَوْمِ إِنَّكُمْ ظَلَمْتُمْ أَنفُسَكُم بِٱتِّخَاذِكُمُ ٱلْعِجْلَ فَتُوبُوٓاْ إِلَىٰ بَارِئِكُمْ فَٱقْتُلُوٓاْ أَنفُسَكُمْ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ عِندَ بَارِئِكُمْ فَتَابَ عَلَيْكُمْ ۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلتَّوَّابُ ٱلرَّحِيمُ ۝٥٤﴾ [البقرة : الآية ٥٤] .

والله دائماً يندد ببني إسرائيل الذين عبدوا العجل ، وتجرءوا على الله وطلبوا رؤيته جهرة ، وطلبوا من سيدنا محمد أن ينزل عليهم كتاباً من السماء يقرءونه مع أن القرآن نزل ولم يؤمنوا به ﴿ يَسْـَٔلُكَ أَهْلُ ٱلْكِتَٰبِ أَن تُنَزِّلَ عَلَيْهِمْ كِتَٰبًا مِّنَ ٱلسَّمَآءِ ۚ فَقَدْ سَأَلُوا۟ مُوسَىٰٓ أَكْبَرَ مِن ذَٰلِكَ فَقَالُوٓا۟ أَرِنَا ٱللَّهَ جَهْرَةً فَأَخَذَتْهُمُ ٱلصَّٰعِقَةُ بِظُلْمِهِمْ ۚ ثُمَّ ٱتَّخَذُوا۟ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِ مَا جَآءَتْهُمُ ٱلْبَيِّنَٰتُ فَعَفَوْنَا عَن ذَٰلِكَ ۚ وَءَاتَيْنَا مُوسَىٰ سُلْطَٰنًا مُّبِينًا ﴿١٥٣﴾ ﴾ [النساء : الآية ١٥٣] .

ويقول ربنا : ﴿ وَلَقَدْ جَآءَكُم مُّوسَىٰ بِٱلْبَيِّنَٰتِ ثُمَّ ٱتَّخَذْتُمُ ٱلْعِجْلَ مِنۢ بَعْدِهِۦ وَأَنتُمْ ظَٰلِمُونَ ﴿٩٢﴾ ﴾ [البقرة : الآية ٩٢] .

فبنو إسرائيل عرفوا بأنهم (عباد العجل) (وقتلة الأنبياء) .

* * *

٣ - النعجة



حيوان أليف ينتفع به الإنسان ، يشرب لبنه ، ويأكل لحمه ، وينتفع بصوفه ، يصنع منه الملابس الثقيلة ، ويستخدم جلده فى مصنوعات متعددة .

داود والنعاج :

عرض علينا القرآن قصتين للنعاج يتعلقان بسيدنا داود عليه السلام .

القصة الأولى :

كان سيدنا داود عليه السلام قد قاد بنى إسرائيل للنصر على عدوهم ، وقتل الطاغية جالوت الذى كان قد طرد الإسرائيليين ، وسلبهم التابوت المقدس ، واحتجز بعض نسائهم وأولادهم ، وقاد داود الإسرائيليين ودخل بهم الأرض المقدسة فلسطين ﴿فَهَزَمُوهُم بِإِذْنِ ٱللَّهِ وَقَتَلَ دَاوُۥدُ جَالُوتَ وَءَاتَىٰهُ ٱللَّهُ ٱلْمُلْكَ وَٱلْحِكْمَةَ وَعَلَّمَهُۥ مِمَّا يَشَآءُ ﴿٢٥١﴾﴾ [البقرة : الآية ٢٥١] .

وكان داود عليه السلام مهاباً قوى الشخصية ، فحكم الإسرائيليين بشرع الله ، وهابوه وخاصة أنه كان يأوى إليه الطير ، وتتجاوب الجبال معه عند العبادة وقراءة الزبور ، وترتيل المزامير .

﴿ وَٱذْكُرْ عَبْدَنَا دَاوُۥدَ ذَا ٱلْأَيْدِ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٧﴾ إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾ وَشَدَدْنَا مُلْكَهُۥ وَءَاتَيْنَٰهُ ٱلْحِكْمَةَ وَفَصْلَ ٱلْخِطَابِ ﴿٢٠﴾ ﴾ [ص: الآيات ١٧- ٢٠] .

كان داود عليه السلام ملتزماً يقسم وقته بأمانة (ثلث لربه) (وثلث يحكم فيه بين الناس) (وثلث لأهله) وكان لا يرضى أن يجور وقت على وقت ، ولكن الحكم مسئولية ، ويحدث أحياناً أن تجد مشكلة ليلاً أو نهاراً ، وتستدعى سرعة حسم الحاكم (والحكم بين الرعية أعظم من الصلاة والعبادة) .

وحدث أن داود عليه السلام كان فى فترة العبادة ، وأراد الله أن ينبهه إلى أهمية الحكم بين الناس ، فساق إليه ملكين فى هيئة رجلين ، وبدل أن يدخلا من الباب تسورا عليه حائط المحراب وسقطا أمامه وبادراه بعرض قضيتهما وطمأناه ، إنهما لا يريدان به شراً وطلبا منه أن يعدل فى حكمه :
﴿ وَهَلْ أَتَىٰكَ نَبَؤُا۟ ٱلْخَصْمِ إِذْ تَسَوَّرُوا۟ ٱلْمِحْرَابَ ﴿٢١﴾ إِذْ دَخَلُوا۟ عَلَىٰ دَاوُۥدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ ۖ قَالُوا۟ لَا تَخَفْ ۖ خَصْمَانِ بَغَىٰ بَعْضُنَا عَلَىٰ بَعْضٍ فَٱحْكُم بَيْنَنَا بِٱلْحَقِّ وَلَا تُشْطِطْ وَٱهْدِنَآ إِلَىٰ سَوَآءِ ٱلصِّرَٰطِ ﴿٢٢﴾ ﴾ [ص: الآيتان ٢١، ٢٢] .

وعجب داود عليه السلام وهو يرى أموراً عجيبة ، ويسمع كلاماً أعجب ، وما تجرأ أحد من الرعية أن يخاطبه بهذه اللهجة .

وعرض الرجلان القضية ، فقال أحدهما : هذا أخى له تسع وتسعون نعجة ، ولى نعجة واحدة ، ومع ذلك يستكثرها علىّ ، ويريد أن يغتصبها منى ويضمها إلى نعاجه ، ليكتمل القطيع مائة ، وهددنى وتوعدنى ، وأحس داود عليه السلام أن القضية واضحة وأن صاحب النعاج الكثيرة رجل ظالم

وجشع ، وأنهى الحكم سريعاً دون أن يستمع إلى الخصم الثانى ، وندد بالظالمين ، وهدد صاحب الغنم إذا ما عاد لمطاردة أخيه .

وفجأة اختفى الرجلان ، وأحس داود عليه السلام أنهما ملكان ، وأن الله أراد اختباره ، وخر ساجداً لله تائباً باكياً ، وبعدها لم يعد إلى ما كان عليه ، وأحس أن القضاء بين الناس خير من العبادة ﴿إِنَّ هَٰذَآ أَخِى لَهُۥ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ نَعْجَةً وَلِىَ نَعْجَةٌ وَٰحِدَةٌ فَقَالَ أَكْفِلْنِيهَا وَعَزَّنِى فِى ٱلْخِطَابِ ﴿٢٣﴾ قَالَ لَقَدْ ظَلَمَكَ بِسُؤَالِ نَعْجَتِكَ إِلَىٰ نِعَاجِهِۦ ۖ وَإِنَّ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْخُلَطَآءِ لَيَبْغِى بَعْضُهُمْ عَلَىٰ بَعْضٍ إِلَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ وَعَمِلُوا۟ ٱلصَّٰلِحَٰتِ وَقَلِيلٌ مَّا هُمْ ۗ وَظَنَّ دَاوُۥدُ أَنَّمَا فَتَنَّٰهُ فَٱسْتَغْفَرَ رَبَّهُۥ وَخَرَّ رَاكِعًا وَأَنَابَ ۩ ﴿٢٤﴾ فَغَفَرْنَا لَهُۥ ذَٰلِكَ ۖ وَإِنَّ لَهُۥ عِندَنَا لَزُلْفَىٰ وَحُسْنَ مَـَٔابٍ ﴿٢٥﴾﴾ [ص: الآيات ٢٣- ٢٥] .

وعلَّم الله داود عليه السلام ، وأخبره أنه اختاره خليفة فى الأرض ليحسن الحكم بين الناس ، ولا يجرى وراء هواه حتى ولو كان من أجل العبادة ، لأن اتباع الهوى مهلكة ، ويبعد الإنسان عن طريق الله ، فيتعرض للعقاب ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلْنَٰكَ خَلِيفَةً فِى ٱلْأَرْضِ فَٱحْكُم بَيْنَ ٱلنَّاسِ بِٱلْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلْهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌۢ بِمَا نَسُوا۟ يَوْمَ ٱلْحِسَابِ ﴿٢٦﴾﴾ [ص: الآية ٢٦] .

والإسرائيليات ادعت أن داود عليه السلام كان متزوجاً تسعاً وتسعين امرأة ، ورأى امرأة قائده الجميلة ، فطمع فيها ، وأرسله إلى ميدان القتال ، فقتل ، وضم امرأته إلى نسائه ، وهذا كذب وافتراء على نبى الله داود .

وداود عليه السلام كان نموذجاً رائعاً للعبادة ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **خير الصيام صيام أخى داود ، كان يصوم يوماً ويفطر يوماً ، وخير القيام قيام أخى داود كان يقوم من الليل ثلثه وينام نصفه ، ويقوم ثلثه** » .

القصة الثانية (داود والنعاج والحرث) :

اختصم رجلان إلى داود عليه السلام أحدهما صاحب قطيع من الغنم ، والثانى صاحب زراعة ، وقد أهمل صاحب الغنم رعاية غنمه ، فسرحت ودخلت أرض الجار ، وأفسدت الزرع .

وحكم داود عليه السلام سريعاً ، وقضى أن يأخذ صاحب الزرع الغنم ، ومرا على (سليمان) فلما سمع الحكم رأى رأياً آخر .

رأى سليمان أن حكم أبيه اقتصر على التعويض ، لكن صاحب الغنم سيصبح عاطلاً لا يملك شيئاً ، وهذا خطر ، وأن صاحب الزرع ربما أهمل الزراعة واكتفى بالقطيع فهى خسارة من ناحيتين ، وقد رأى (سليمان) أن يأخذ صاحب الزرع الغنم يستفيد بألبانها ونتاجها ، ويعمل صاحب الغنم على أن يعيد الزرع كما كان ، فإذا ما تم ذلك تسلم قطيعه .

﴿وَدَاوُودَ وَسُلَيْمَانَ إِذْ يَحْكُمَانِ فِي الْحَرْثِ إِذْ نَفَشَتْ فِيهِ غَنَمُ الْقَوْمِ وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ ﴿٧٨﴾ فَفَهَّمْنَاهَا سُلَيْمَانَ وَكُلًّا آتَيْنَا حُكْمًا وَعِلْمًا وَسَخَّرْنَا مَعَ دَاوُودَ الْجِبَالَ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ وَكُنَّا فَاعِلِينَ ﴿٧٩﴾﴾
[الأنبياء : الآيتان ٧٨، ٧٩] .

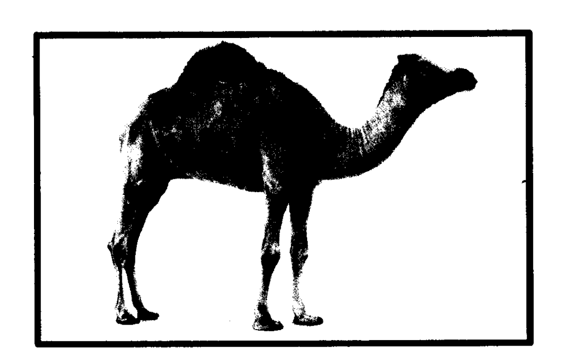
وروى أن أختين كل منهما أنجبت ولداً ، وانشغلتا بالعمل ، فجاء الذئب وأكل واحداً منهما ، وكان ابن الأخت الكبرى فادعت أن الطفل الثانى طفلها ، وعرضت القضية على داود عليه السلام ، وبتأثير الدموع حكم داود للكبرى أن تأخذ الطفل ، ولما مرتا على سليمان أحس أن الأخت الصغرى فى حالة فزع ودموعها تسيل على خدها ، فحدثته نفسه أن الطفل طفلها ، فقال للأختين لا يصح أن تأخذ إحداكما الطفل وتحرم الأخرى ، وإنما سآتى بالسكين وأشق الطفل شقين لكل واحدة منكما شق ، وفرحت الأخت الكبرى ورضيت ، بينما توسلت الأخت الصغرى أن ينقذ سليمان الطفل ، وقالت : إنه طفل أختى فتأكد سليمان أن أم الطفل هى

الأخت الصغرى ، وسلمه إليها ورضى داود بحكم سليمان .

والقاضى لابد وأن يكون واعياً ذكياً يراجع الخصمين حتى يصل إلى الحكم العادل ، والله يقول : ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ يَأۡمُرُكُمۡ أَن تُؤَدُّواْ ٱلۡأَمَٰنَٰتِ إِلَىٰٓ أَهۡلِهَا وَإِذَا حَكَمۡتُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ أَن تَحۡكُمُواْ بِٱلۡعَدۡلِۚ إِنَّ ٱللَّهَ نِعِمَّا يَعِظُكُم بِهِۦٓۗ إِنَّ ٱللَّهَ كَانَ سَمِيعَۢا بَصِيرٗا ﴿٥٨﴾ ﴾ [النّساء: الآية ٥٨] .

* * *

٤ - الجمــل



كلمة (الأنعام) تطلق على أربعة أنواع هى : (الجمال والبقر ، والغنم والماعز) ، ونزلت باسمها سورة هى (سورة الأنعام) .

ذللها الله للإنسان ، وجعلها لخدمة الإنسان ، يركب الجمال ، ويحمل عليها الأثقال ، ويأكل لحومها ، ويشرب ألبانها ، ويستفيد بجلودها ، ويصنع من أصواف الغنم الملابس الثقيلة ، ومن وبر الجمال الخيام ، والسجاد والأثاث ، وكذلك شعر الماعز كما قال ربنا :

﴿وَٱللَّهُ جَعَلَ لَكُم مِّنۢ بُيُوتِكُمْ سَكَنًا وَجَعَلَ لَكُم مِّن جُلُودِ ٱلْأَنْعَٰمِ بُيُوتًا تَسْتَخِفُّونَهَا يَوْمَ ظَعْنِكُمْ وَيَوْمَ إِقَامَتِكُمْ ۙ وَمِنْ أَصْوَافِهَا وَأَوْبَارِهَا وَأَشْعَارِهَآ أَثَٰثًا وَمَتَٰعًا إِلَىٰ حِينٍ ﴿٨٠﴾﴾ [النحل: الآية ٨٠] .

ومن الأنواع الأربعة يخرج اللبن وهو آية من آيات الله ، يخرج من بين شيئين كريهين (الفرث) وهو أوساخ الكرش ، و (الدم) الأحمر القانى الملىء بالميكروبات والجراثيم فى خيط رفيع هو الغدد اللبنية يخرج اللبن أبيض منقى صافياً : ﴿وَإِنَّ لَكُمْ فِى ٱلْأَنْعَٰمِ لَعِبْرَةً ۖ نُّسْقِيكُم مِّمَّا فِى بُطُونِهِۦ مِنۢ بَيْنِ

فَرْثٍ وَدَمٍ لَّبَنًا خَالِصًا سَآئِغًا لِّلشَّٰرِبِينَ ﴿٦٦﴾﴾ [النحل: الآية ٦٦] .

والجمل متعة للعين ، وهو حيوان صبور يتحمل الجوع والعطش أياماً ، ويقطع الصحراء لا يشعر بحرها ورمالها الملتهبة ، وقد منحه الله عينين عليهما غشاء يمنع الأتربة عنهما ، وبصره قوى جداً يرى من مسافات بعيدة تساعده رقبة طويلة ، ولا يكل ولا يمل .

والجمل دون الحيوانات لا يأتى أنثاه كالحيوانات الأخرى ، وإنما يستتر داخل بناء أو خيمة : ﴿وَٱلْأَنْعَٰمَ خَلَقَهَا ۗ لَكُمْ فِيهَا دِفْءٌ وَمَنَٰفِعُ وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ ﴿٥﴾ وَلَكُمْ فِيهَا جَمَالٌ حِينَ تُرِيحُونَ وَحِينَ تَسْرَحُونَ ﴿٦﴾ وَتَحْمِلُ أَثْقَالَكُمْ إِلَىٰ بَلَدٍ لَّمْ تَكُونُوا۟ بَٰلِغِيهِ إِلَّا بِشِقِّ ٱلْأَنفُسِ ۚ إِنَّ رَبَّكُمْ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴿٧﴾﴾ [النحل: الآيات ٥- ٧] .

والله وجه الأنظار إلى بديع مخلوقاته ، وجعل فى مقدمتها الجمال : ﴿أَفَلَا يَنظُرُونَ إِلَى ٱلْإِبِلِ كَيْفَ خُلِقَتْ ﴿١٧﴾ وَإِلَى ٱلسَّمَآءِ كَيْفَ رُفِعَتْ ﴿١٨﴾ وَإِلَى ٱلْجِبَالِ كَيْفَ نُصِبَتْ ﴿١٩﴾ وَإِلَى ٱلْأَرْضِ كَيْفَ سُطِحَتْ ﴿٢٠﴾﴾ [الغاشية: الآيات ١٧- ٢٠] .

والعرب فى الجاهلية كانت لهم عادات سيئة ، يشقون أذن ناقة ، ويمتنعون عن ركوبها ، ويسمونها (بحيرة) .

ومنهم من يترك ناقته ترتع فى كل أرض ، ويقول هى للآلهة ، وتسمى (سائبة) والناقة التى تلد أنثى وتتبعه بذكر تسمى (وصيلة) .

والجمل إذا لقح النوق وولدت عشراً سمى (حام) فلا يركب ظهره وهذه من تصورات الجاهلية : ﴿مَا جَعَلَ ٱللَّهُ مِنۢ بَحِيرَةٍ وَلَا سَآئِبَةٍ وَلَا وَصِيلَةٍ وَلَا حَامٍ ۙ وَلَٰكِنَّ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ يَفْتَرُونَ عَلَى ٱللَّهِ ٱلْكَذِبَ ۖ وَأَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ ﴿١٠٣﴾﴾ [المائدة: الآية ١٠٣] .

وكانت (الأنعام) من الإناث تلد أنثى ، فإن خرجت حية أكلها الرجال وحدهم ، وإذا خرج المولود ميتاً تأكله الإناث ، أما الذكر فلا يأكله إلا الرجال : ﴿وَقَالُوا۟ مَا فِى بُطُونِ هَٰذِهِ ٱلْأَنْعَٰمِ خَالِصَةٌ لِّذُكُورِنَا وَمُحَرَّمٌ عَلَىٰٓ أَزْوَٰجِنَا ۖ وَإِن يَكُن مَّيْتَةً فَهُمْ فِيهِ شُرَكَآءُ ۚ سَيَجْزِيهِمْ وَصْفَهُمْ ۚ إِنَّهُۥ حَكِيمٌ عَلِيمٌ ﴿١٣٩﴾﴾ [الأنعام : الآية ١٣٩] .

ولقد روى أن (يعقوب) عليه السلام مرض مرضاً شديداً ، فنذر لله إن شفاه الله لا يأكل لحوم الجمال ، وكانت من أحب اللحوم إليه ، ووفى بنذره ، ولكن بنى إسرائيل قلدوه ، وقالوا : إنها محرمة وما حرمها يعقوب إلا على نفسه ، وكذبوا حين قالوا إن التوراة حرمتها ، والتوراة ما حرمت الطيبات : ﴿ كُلُّ ٱلطَّعَامِ كَانَ حِلًّا لِّبَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ إِلَّا مَا حَرَّمَ إِسْرَٰٓءِيلُ عَلَىٰ نَفْسِهِۦ مِن قَبْلِ أَن تُنَزَّلَ ٱلتَّوْرَىٰةُ ۗ قُلْ فَأْتُوا۟ بِٱلتَّوْرَىٰةِ فَٱتْلُوهَآ إِن كُنتُمْ صَٰدِقِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [آل عِمرَان : الآية ٩٣] .

والله شدد على اليهود لما شددوا على أنفسهم ، فحرمهم كثيراً من الطيبات ، إذا ذبحوا بقرة مثلاً لا يأكلون رأسها ولا أمعاءها ولا شحومها ، وإذا اختلط لحم بعظم يرمى ،ولا يأكلون أرجلها .

﴿وَعَلَى ٱلَّذِينَ هَادُوا۟ حَرَّمْنَا كُلَّ ذِى ظُفُرٍ ۖ وَمِنَ ٱلْبَقَرِ وَٱلْغَنَمِ حَرَّمْنَا عَلَيْهِمْ شُحُومَهُمَآ إِلَّا مَا حَمَلَتْ ظُهُورُهُمَآ أَوِ ٱلْحَوَايَآ أَوْ مَا ٱخْتَلَطَ بِعَظْمٍ ۚ ذَٰلِكَ جَزَيْنَٰهُم بِبَغْيِهِمْ ۖ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ﴿١٤٦﴾﴾ [الأنعام : الآية ١٤٦] ، بينما أحل الله للمسلمين ما فى الذبيحة (حتى الفرث أوساخ الكرش) تستخدم كسماد طبيعى .

وقد كرم الله الجِمَال وجعل لها المقدمة فى الهدى ، والجمل يجزئ عن سبعة أشخاص ، وكذلك البقرة ، أما الخروف فلواحد .

وكان العرب يلجأون إلى الغنم فى ذبح الهدى فى الحج ، وإلى الآن

أغلب المسلمين يفضلون الأغنام ، ولذلك ارتفعت أسعارها ، والله يوصى : ﴿وَٱلْبُدْنَ جَعَلْنَٰهَا لَكُم مِّن شَعَٰٓئِرِ ٱللَّهِ لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ ۖ فَٱذْكُرُوا۟ ٱسْمَ ٱللَّهِ عَلَيْهَا صَوَآفَّ ۖ فَإِذَا وَجَبَتْ جُنُوبُهَا فَكُلُوا۟ مِنْهَا وَأَطْعِمُوا۟ ٱلْقَانِعَ وَٱلْمُعْتَرَّ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرْنَٰهَا لَكُمْ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿٣٦﴾ لَن يَنَالَ ٱللَّهَ لُحُومُهَا وَلَا دِمَآؤُهَا وَلَٰكِن يَنَالُهُ ٱلتَّقْوَىٰ مِنكُمْ ۚ كَذَٰلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا۟ ٱللَّهَ عَلَىٰ مَا هَدَىٰكُمْ ۗ وَبَشِّرِ ٱلْمُحْسِنِينَ﴾ [الحج : الآيتان ٣٦، ٣٧] .

والرسول يحث على ذبح الأضحية يوم العيد سواء كانت جمالاً أم بقراً أم غنماً أم ماعزاً ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **ما عمل ابن آدم يوم النحر عملاً أحب إلى الله من إهراق دم إنها لتأتى يوم القيامة بقرونها وأظلافها وأشعارها وإن الدم ليقع من الله بمكان قبل أن يقع من الأرض فطيبوا نفسا** » .

والأنعام طائفة لله تعبده ، وتسبح بحمده ، وتسجد له ، وهى أفضل من المشركين الذين سجدوا لأصنام ، وعطلوا العقل : ﴿وَلَقَدْ ذَرَأْنَا لِجَهَنَّمَ كَثِيرًا مِّنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ ۖ لَهُمْ قُلُوبٌ لَّا يَفْقَهُونَ بِهَا وَلَهُمْ أَعْيُنٌ لَّا يُبْصِرُونَ بِهَا وَلَهُمْ ءَاذَانٌ لَّا يَسْمَعُونَ بِهَآ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ كَٱلْأَنْعَٰمِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْغَٰفِلُونَ ﴿١٧٩﴾﴾ [الأعراف : الآية ١٧٩] .

ناقة صالح :

كان قوم صالح (ثمود) يعيشون فى شمال الجزيرة العربية ، فى المكان المعروف (بفج الناقة) أو (ديار ثمود) أو (الحجر) كما قال المولى : ﴿وَلَقَدْ كَذَّبَ أَصْحَٰبُ ٱلْحِجْرِ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٨٠﴾﴾ [الحجر : الآية ٨٠] .

كانوا يعبدون الأصنام من دون الله ، وكانت هناك تسع أسر تملك المال ، وتتحكم فى شئون ثمود ، وبعث الله سيدنا صالحاً برسالة التوحيد ، فدعا إلى عبادة الله وترك الأصنام ، فكذبوه واضطهدوه ، وقد آمن به قلة

من الفقراء والضعفاء (وهم غالباً أنصار الرسل) لأنهم ينشدون العدالة ، وأخبرهم صالح أنه ناصح أمين لا يريد على دعوته أجراً ولا مغنماً :

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٤١﴾ إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَٰلِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ ﴿١٤٢﴾ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ﴿١٤٣﴾ فَٱتَّقُوا ٱللَّهَ وَأَطِيعُونِ ﴿١٤٤﴾ وَمَآ أَسْـَٔلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ أَجْرِيَ إِلَّا عَلَىٰ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٤٥﴾﴾ [الشعراء : الآيات ١٤١- ١٤٥] .

كذبوه وطالبوه بمعجزة تدل على أنه رسول من عند الله ، وتمادوا فى طغيانهم : ﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِٱلنُّذُرِ ﴿٢٣﴾ فَقَالُوٓا أَبَشَرًا مِّنَّا وَٰحِدًا نَّتَّبِعُهُۥٓ إِنَّآ إِذًا لَّفِي ضَلَٰلٍ وَسُعُرٍ ﴿٢٤﴾ أَءُلْقِيَ ٱلذِّكْرُ عَلَيْهِ مِنۢ بَيْنِنَا بَلْ هُوَ كَذَّابٌ أَشِرٌ ﴿٢٥﴾ سَيَعْلَمُونَ غَدًا مَّنِ ٱلْكَذَّابُ ٱلْأَشِرُ ﴿٢٦﴾﴾ [القمر : الآيات ٢٣- ٢٦] .

وحقق لهم صالح عليه السلام ما أرادوا ، وأخبرهم أن الله سيخرج لهم الناقة من صخرة يعرفونها على شرط أن تقاسمهم الماء لها يوم ، ولهم يوم (وكانت فى ثمود عين ماء واحدة) وحذرهم ألا يمسوها بسوء ، وألا يمنعوها من أى مكان تذهب إليه وألا يقربوا الماء فى يومها : ﴿وَإِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَٰلِحًا ۗ قَالَ يَٰقَوْمِ ٱعْبُدُوا ٱللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُۥ ۖ قَدْ جَآءَتْكُم بَيِّنَةٌ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ هَٰذِهِۦ نَاقَةُ ٱللَّهِ لَكُمْ ءَايَةً ۖ فَذَرُوهَا تَأْكُلْ فِيٓ أَرْضِ ٱللَّهِ ۖ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوٓءٍ فَيَأْخُذَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ ﴿٧٣﴾﴾ [الأعراف : الآية ٧٣] .

﴿إِنَّا مُرْسِلُوا ٱلنَّاقَةِ فِتْنَةً لَّهُمْ فَٱرْتَقِبْهُمْ وَٱصْطَبِرْ ﴿٢٧﴾ وَنَبِّئْهُمْ أَنَّ ٱلْمَآءَ قِسْمَةٌۢ بَيْنَهُمْ ۖ كُلُّ شِرْبٍ مُّحْتَضَرٌ ﴿٢٨﴾﴾ [القمر : الآيتان ٢٧، ٢٨] .

وبقدرة الله خرجت الناقة من الصخر واتجهت إلى بئر الماء ، فلما رأتها الحيوانات هربت ووضعت فمها فشربت الماء كله ، وكان عليهم الانتظار إلى اليوم الثانى حيث أقدموا على البئر للسقيا ، ولم تأت الناقة ، وعز على

كبار القوم أن تشاركهم الناقة الماء ، وأن ترتع فى أراضيهم ، لا يردها شىء ، وفكروا فى قتلها :

﴿كَذَّبَتْ ثَمُودُ بِطَغْوَىٰهَآ ⑪ إِذِ ٱنۢبَعَثَ أَشْقَىٰهَا ⑫ فَقَالَ لَهُمْ رَسُولُ ٱللَّهِ نَاقَةَ ٱللَّهِ وَسُقْيَٰهَا ⑬﴾ [الشّمس: الآيات ١١- ١٣] .

وكان فى ثمود رجل فاجر وقاتل محترف أغروه بالمال لقتلها لكنه خاف وهو يعلم صدق صالح عليه السلام ، فوسوس له الشيطان أن يشرب الخمر ويقدم على قتلها ، وهو فى حالة سكر : ﴿فَنَادَوْاْ صَاحِبَهُمْ فَتَعَاطَىٰ فَعَقَرَ ㉙﴾ [القَمَر: الآية ٢٩] .

ويقول صلى الله عليه وسلم لعلى بن أبى طالب رضى الله عنه : « **أتدرى يا على من أشقى الناس؟** » قال : الله ورسوله أعلم . قال : « **أشقى الناس أحيمر ثمود والذى يضربك على هذا** - أى على قرنه الأيمن - **حتى تبتل منه هذه** » يعنى لحيته .

ورغم أن القاتل واحد فقد اشتركوا جميعاً فى قتلها ، وأنذرهم صالح عليه السلام أن العذاب نازل بهم بعد ثلاثة أيام ، يوم تصفر فيه الوجوه ، ويوم تحمر فيه الوجوه ، ويوم تسود فيه الوجوه ، وتحقق كلام سيدنا صالح عليه السلام : ﴿فَعَقَرُوهَا فَقَالَ تَمَتَّعُواْ فِى دَارِكُمْ ثَلَٰثَةَ أَيَّامٍ ذَٰلِكَ وَعْدٌ غَيْرُ مَكْذُوبٍ ⑥⑤﴾ [هُود: الآية ٦٥] .

ولما اصفرت وجوه المشركين فى اليوم الأول فكر السادة من الأسر التسع أن يتخلصوا من صالح عليه السلام ومن آمن معه ، وبيتوا النية على أن يهاجموه ليلاً فيقتلونه ومن آمن معه ، ثم يتبرءون من دمه ، ولن يكذبهم أحد ، فهم سادة ثمود : ﴿وَكَانَ فِى ٱلْمَدِينَةِ تِسْعَةُ رَهْطٍ يُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا يُصْلِحُونَ ④⑧ قَالُواْ تَقَاسَمُواْ بِٱللَّهِ لَنُبَيِّتَنَّهُۥ وَأَهْلَهُۥ ثُمَّ لَنَقُولَنَّ لِوَلِيِّهِۦ مَا شَهِدْنَا مَهْلِكَ أَهْلِهِۦ وَإِنَّا لَصَٰدِقُونَ ④⑨ وَمَكَرُواْ مَكْرًا وَمَكَرْنَا مَكْرًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ⑤⓪﴾ [النّمل: الآيات ٤٨- ٥٠] .

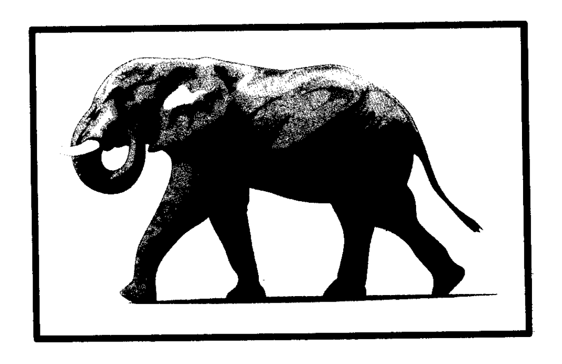
كان الله أسبق منهم ، فأمر صالحاً عليه السلام بالخروج ليلاً مع من آمن معه ، ثم أرسل الله عليهم جبريل فصاح صيحة واحدة ، كانت أشد من الزلزال ، هشمت العظام ، وحطمت الأجسام ، ودمرت البيوت : ﴿إِنَّآ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ صَيْحَةً وَٰحِدَةً فَكَانُوا۟ كَهَشِيمِ ٱلْمُحْتَظِرِ ﴿٣١﴾﴾ [القمر: الآية ٣١] .

﴿فَٱنظُرْ كَيْفَ كَانَ عَٰقِبَةُ مَكْرِهِمْ أَنَّا دَمَّرْنَٰهُمْ وَقَوْمَهُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٥١﴾ فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةًۢ بِمَا ظَلَمُوٓا۟ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ﴿٥٢﴾﴾ [النمل: الآيتان ٥١، ٥٢] .

وراحوا في الزمن كأنهم ما كانوا ولا وجدوا ولا أثر لهم ﴿كَأَن لَّمْ يَغْنَوْا۟ فِيهَآ ۗ أَلَآ إِنَّ ثَمُودَا۟ كَفَرُوا۟ رَبَّهُمْ ۗ أَلَا بُعْدًا لِّثَمُودَ ﴿٦٨﴾﴾ [هود: الآية ٦٨] .

* * *

٥ - الفيـــل



الفيل أضخم الحيوانات وأقواها وهوحيوان أليف يستطيع الطفل أن يقوده ، زوده الله سبحانه بجلد ثخين ، لا تنفذ فيه الحراب ، وأرجل مفرطحة تتحمل السير على الصخور وفى الصحراء وفى الغابة ، ويستطيع أن يقتلع شجرة من جذورها ، أو يضع رأسه فى بناء فيهدمه ، ويرتفع عن سطح الأرض ثلاثة أمتار ، وتستخدمه بعض الشعوب كالهند فى الركوب وحمل الأثقال وجر العربات واقتلاع الأشجار (وهو نباتى) يعيش على العشب وأوراق الشجر ، وإذا هاج لا يوقفه شىء ، وهو حيوان جماعى لا يعيش وحده ، بل مع قافلة من الفيلة ،وله نابان بارزان من العاج يستطيع أن يصرع أى إنسان أو حيوان بهما ، وخرطوم ضخم يستخدمه فى الشرب وقذف الطعام فى فمه ، ويستطيع به أن يتلقى عملة فضية صغيرة ويوصلها إلى حارسه .

وإذا أحس الفيل بالمرض واقتراب الموت فإنه يقطع مسافات بعيدة ويدخل إحدى المغارات كمكان ليموت فيه ، واكتشاف هذه المغارات جلب للمستكشفين ثروة طائلة حين نقلوا العاج وهو غالى الثمن تصنع منه أجود الأشياء وأثمن الهدايا .

وهو غيور على أنثاه ، ولا يسمح لفيل آخر بالاقتراب منها ، ويحمى ولده الصغير بكل قوة حتى يشتد عوده .

وهو يزن أطنان كثيرة ، ويحتاج نقله إلى تكلفة عالية ، ويستخدمه المحترفون فى أعمال السيرك ، لأنه يسعد الكبار والصغار بحركاته وطاعته لمدربه .

وقد كرمه الله فى القرآن ، وأنزل سورة باسمه هى (سورة الفيل) ولا يوجد الآن من الفيلة إلا (الفيل الأفريقى) الذى يغطى الغابات الأفريقية (والفيل الهندى) ويعيش الفيل ما بين ٤٥ - ٦٠ سنة .

قصة أصحاب الفيل :

كان هناك ملك على اليمن يسمى (ذو نواس) كان طاغية ظالماً ، أغراه رجلان يهوديان أن يعتنق اليهودية ويترك المسيحية التى هو عليها ، واعتنق اليهودية فأغرياه بفرض العقيدة الجديدة على الشعب ، لكن الشعب تمسك بالنصرانية ، فعرضا عليه أن يحفر حفراً عميقة ويملؤها بالنار ويخير كل مواطن بين القذف فى النار أو الدخول فى الدين الجديد ، لكن الشعب تمسك بالنصرانية ورفض اليهودية ، فخدلهم الأخاديد العميقة وملأها ناراً ووقفت الجماهير صفوفاً ، وألقوا بأنفسهم فى النار ، والله يقول :

﴿قُتِلَ أَصْحَٰبُ ٱلْأُخْدُودِ ﴿٤﴾ ٱلنَّارِ ذَاتِ ٱلْوَقُودِ ﴿٥﴾ إِذْ هُمْ عَلَيْهَا قُعُودٌ ﴿٦﴾ وَهُمْ عَلَىٰ مَا يَفْعَلُونَ بِٱلْمُؤْمِنِينَ شُهُودٌ ﴿٧﴾ وَمَا نَقَمُوا۟ مِنْهُمْ إِلَّآ أَن يُؤْمِنُوا۟ بِٱللَّهِ ٱلْعَزِيزِ ٱلْحَمِيدِ ﴿٨﴾ ٱلَّذِى لَهُۥ مُلْكُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَٱللَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ شَهِيدٌ ﴿٩﴾﴾ [البروج : الآيات ٤- ٩] .

علم بذلك (النجاشى) ملك الحبشة ، وكان بمثابة الحامى للمسيحية من قبل (قيصر الروم) فأرسل جيشاً جراراً يقوده قائدان عظيمان أحدهما يسمى (أرياط) ، والثانى يسمى (أبرهة) فهاجموه وقتلوه ، وأراد (أرياط) أن يتولى مُلك اليمن لكن (أبرهة) حقد عليه وعزم على أن يكون هو الملك

ودخلا فى مبارزة حامية ، وكان (أرياط) ماهراً فى اللعب بالسيف فجرح (أبرهة) جرحاً بليغاً فى أنفه ، ومن هنا سمى (أبرهة الأشرم) لكن (أبرهة) استطاع قتل (أرياط) ، ولما علم (النجاشى) عزم على تأديب أبرهة ، وخاف أبرهة من قوة جيش النجاشى ، وأراد أن يسترضيه فعرض عليه بناء كنيسة فى اليمن يأتى إليها العرب ويقدمون لها الهدايا والنذور ، كما يفعلون مع الكعبة الشريفة ورضى النجاشى .

بنى (أبرهة) كنيسة رائعة سماها (القُلَيّس) ودعا العرب إلى حجها فلم يأت إليها أحد ، فعزم على هدم الكعبة حتى تبقى (القُلَيّس) وحدها ، فيضطر العرب إلى الحج إليها ، وعرض الأمر على النجاشى فوافقه وأمده بفيل ضخم إذا وضع رأسه فى بناء يهدمه فى الحال .

ولم يكن أبرهة يعرف طريق مكة ، فطلب من يرشده إليها فامتنع العرب حتى وجد رجلاً فاجراً يسمى (أبو رغال) سار معه لكنه مات قبل أن يصلوا إلى مكة .

وأرسل أبرهة طلائع جيشه لاكتشاف مكة والبيت الحرام ، ونجحوا فى ذلك ، ولما قرب من مكة صادر كل ما فى طريقه من جمال وأبقار وأغنام وماعز ، واختطف النساء .

وكانت (لعبد المطلب) جد النبى ﷺ (مائتا جمل) صادرها جند أبرهة ، فذهب (عبد المطلب) إليه ، ولما علم أن عبد المطلب هو سيد مكة ظن أنه جاء يسترحمه لكيلا يهدم الكعبة ، لكن عبد المطلب طلب منه أن يعيد إليه الإبل التى أخذها جنوده ، وعجب أبرهة وقال له : (أتسألنى عن إبل وتترك بيتاً هو دينك ودين آبائك ؟) ، فقال عبد المطلب : (أما الإبل فأنا ربها ، وأما البيت فله رب يحميه) .

وأطلق أبرهة إبل عبد المطلب ، وعزم على مهاجمة الكعبة ، وأرادت قريش الدفاع عن الكعبة ، فقال لهم عبد المطلب : (لا طاقة لكم بجيش

أبرهة) ونصحهم بالصعود إلى أعالى الجبال حتى تنجلى الغمة .

وبدأ التحرك نحو الكعبة ووجهوا الفيل لكنه أبى وفعلوا به الأفاعيل فلم يتحرك ، وإذا وجهوه إلى وجهة أخرى أسرع فى الجرى ، وأذن الله أن يهلك أبرهة وجيشه ، فأرسل سبحانه طيوراً صغيرة فى منقار كل طائر حجر صغير من جهنم ، ووقف كل طائر على كل جندى وألقت الطيور حمولتها ، وكانت تأتى فى أسراب متتالية كموج البحر ، ينزل الحجر فيخترق رأس الفارس والفرس فيتحولان فى الحال إلى عجينة ، وهلك جنود أبرهة ، وسقطت أعضاء جسمه ومات مذموماً مدحوراً

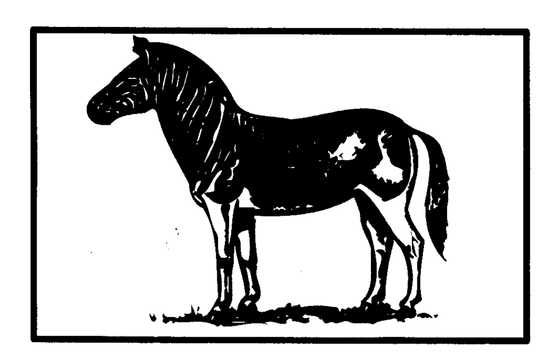
﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ۝١ أَلَمْ يَجْعَلْ كَيْدَهُمْ فِى تَضْلِيلٍ ۝٢ وَأَرْسَلَ عَلَيْهِمْ طَيْرًا أَبَابِيلَ ۝٣ تَرْمِيهِم بِحِجَارَةٍ مِّن سِجِّيلٍ ۝٤ فَجَعَلَهُمْ كَعَصْفٍ مَّأْكُولٍ ۝٥﴾ [الفيل : الآيات ١ - ٥] .

وفى عام الفيل هذا ولد سيدنا محمد عليه الصلاة والسلام ، الرحمة المهداة ، والنعمة المسداة ؛ لينشر التوحيد والسلام والعدل فى الأرض .

وقد ذكر الله قريش بهذه النعمة ، وأنه سبحانه حماها من الجوع ومن الخوف ، وأمن مكة وما حولها وطالبهم بعبادة الله ﴿لِإِيلَٰفِ قُرَيْشٍ ۝١ إِۦلَٰفِهِمْ رِحْلَةَ ٱلشِّتَآءِ وَٱلصَّيْفِ ۝٢ فَلْيَعْبُدُوا۟ رَبَّ هَٰذَا ٱلْبَيْتِ ۝٣ ٱلَّذِىٓ أَطْعَمَهُم مِّن جُوعٍ وَءَامَنَهُم مِّنْ خَوْفٍۭ ۝٤﴾ [قريش : الآيات ١ - ٤] .

* * *

٦ - الحمـــار



حيوان أليف صبور ، توجه إليه الإهانات ويحقر من شأنه الأغبياء ، وما دروا أنه خلق الله أودع فيه من الأسرار ما أودع إنه حيوان يؤدى ما كلفه الله به .

وهو أفضل من اليهود الذين حملهم الله التوراة ، فلم يحملوها وحرفوها ، وبدلوها ، والله يقول : ﴿ أَفَتَطْمَعُونَ أَن يُؤْمِنُوا لَكُمْ وَقَدْ كَانَ فَرِيقٌ مِّنْهُمْ يَسْمَعُونَ كَلَامَ ٱللَّهِ ثُمَّ يُحَرِّفُونَهُۥ مِنۢ بَعْدِ مَا عَقَلُوهُ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ﴿٧٥﴾ ﴾ [البقرة : الآية ٧٥] ، وتاجروا فى الشريعة وحرموا الحلال وأحلوا الحرام ، وأولوا النصوص حسب هواهم :﴿فَوَيْلٌ لِّلَّذِينَ يَكْتُبُونَ ٱلْكِتَـٰبَ بِأَيْدِيهِمْ ثُمَّ يَقُولُونَ هَـٰذَا مِنْ عِندِ ٱللَّهِ لِيَشْتَرُوا بِهِۦ ثَمَنًا قَلِيلًا ۖ فَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا كَتَبَتْ أَيْدِيهِمْ وَوَيْلٌ لَّهُم مِّمَّا يَكْسِبُونَ ﴿٧٩﴾ ﴾ [البقرة : الآية ٧٩] .

الحمار حرمه الله من العقل . لكنه يتصرف أحياناً أفضل من الإنسان ، إنه يجر العربات ويحمل الأثقال ، ولا يريد أكثر من حزمة برسيم وشربة ماء ، والله يقول عن اليهود ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ حُمِّلُوا ٱلتَّوْرَىٰةَ ثُمَّ لَمْ يَحْمِلُوهَا

﴿كَمَثَلِ ٱلْحِمَارِ يَحْمِلُ أَسْفَارًا ۚ بِئْسَ مَثَلُ ٱلْقَوْمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُوا۟ بِـَٔايَـٰتِ ٱللَّهِ ۚ وَٱللَّهُ لَا يَهْدِى ٱلْقَوْمَ ٱلظَّـٰلِمِينَ ﴿٥﴾﴾ [الجمعة: الآية ٥] .

عندما أراد المولى سبحانه أن يضرب المثل بالمشركين الذين صدوا عن سبيل الله ، وأعرضوا عن القرآن قال : ﴿كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: الآيتان ٥٠، ٥١] .

الحمير فرت من الأسد إبقاء على حياتها ، فهى تنجو بنفسها ولكنها تعبد الله وتسبح بحمده ، بينما المشركون يهـربون من القرآن وفيه النجاة لهم .

وعندما يشبه الله صوت الإنسان المزعج المنطلق بلا ضوابط بنهيق الحمار فليس ذلك ذماً للحمار ، فالحمار أودع الله فيه هذا الصوت ولا إرادة له لكن الإنسان صاحب العقل ينطلق بصوته منفراً مزعجاً فهو أحط من الحمار .

ولقمان يعظ ولده ويقول : ﴿وَٱقْصِدْ فِى مَشْيِكَ وَٱغْضُضْ مِن صَوْتِكَ ۚ إِنَّ أَنكَرَ ٱلْأَصْوَٰتِ لَصَوْتُ ٱلْحَمِيرِ ﴿١٩﴾﴾ [لقمان: الآية ١٩] .

والحمير مثل البغال والخيل أدوات ركوب ، وتتحمل الصعاب ، وهى زينة للناس ضمن زينة الحياة الدنيا ﴿وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً ۚ وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٨﴾﴾ [النحل: الآية ٨] .

قصة عزير والحمار :

كان اليهود ينكرون البعث ولا يؤمن بالبعث إلا قلة مع أن البعث حق لأنه دليل العدالة الإلهية ، ولابد من خروج الناس من قبورهم ليحاسبهم ربهم .

ونحن نمر بالبعث المجسد ولا نلتفت إليه ، هذه الأرض السوداء ليست فيها ورقة خضراء تسقى بالماء ، فتهتز وتخرج النبات مختلف الأشكال

والألوان والأطعمة ، وكما يخرج النبات يخرج الموتى من قبورهم : ﴿وَمِنْ ءَايَٰتِهِۦٓ أَنَّكَ تَرَى ٱلْأَرْضَ خَٰشِعَةً فَإِذَآ أَنزَلْنَا عَلَيْهَا ٱلْمَآءَ ٱهْتَزَّتْ وَرَبَتْ ۚ إِنَّ ٱلَّذِىٓ أَحْيَاهَا لَمُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰٓ ۚ إِنَّهُۥ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٣٩﴾﴾ [فصّلت : الآية ٣٩] .

والذى خلق الإنسان أول مرة قادر على إعادته ألف مرة :﴿وَهُوَ ٱلَّذِى يَبْدَؤُا۟ ٱلْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُۥ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ ۚ وَلَهُ ٱلْمَثَلُ ٱلْأَعْلَىٰ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿٢٧﴾﴾ [الرُّوم : الآية ٢٧] .

والله أكد أن البعث حق رغم أنف المنكرين : ﴿زَعَمَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوٓا۟ أَن لَّن يُبْعَثُوا۟ ۚ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّى لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ ۚ وَذَٰلِكَ عَلَى ٱللَّهِ يَسِيرٌ ﴿٧﴾﴾ [التّغَابُن : الآية ٧] .

كان (عزير) رجل دين من الأتقياء ، وكان كأبيه رجلاً صالحاً ، وكان يحفظ التوراة ، ومن حفظ التوراة يقدسه اليهود .

ولما هدم الرومان مدينة القدس وأزالوا المعبد ، وقضوا على كل حركة فيها ، وصارت أطلالاً تنعى سكانها ، مر بها (عزير) وكان يركب حماراً وكان يوماً شديد الحر ، فأراد أن يأخذ قسطاً من الراحة ، وينال شيئاً من الطعام والشراب ، فنزل فى مكان خرب ، أعد التين والخبز وتهيأ لتناول الطعام ، فمر بذهنه خاطر هل يمكن أن يعيد الله هذه البلدة من جديد ، وتموج بالناس وبالأسواق ، وكأنما استبعد ذلك ، فى هذه اللحظة أماته الله وظل مائة عام فى حالة موت ، توافدت أجيال وجاءت أجيال ، وتغيرت الحياة ، وكان أهله قد يئسوا من عودته ، واعتبروه ميتاً .

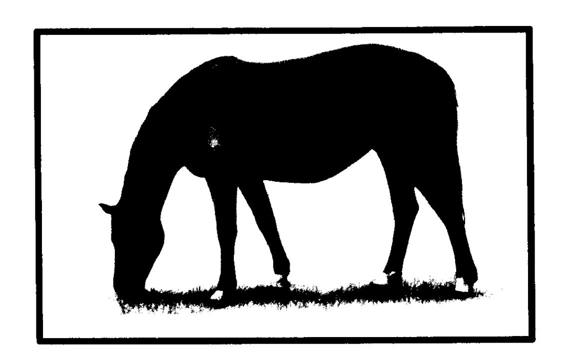
وأحياه الله وأرسل له ملكاً فى هيئة رجل سأله عن المدة التى قضاها هنا ، وظن (عزير) أنه نام جزءاً من نهار ، فقال (يوماً أو بعض يوم) ، وفوجئ بأن الرجل يقول له (لقد مت مائة عام) ، واستبعد ذلك كيف وهو بنفس هيئته لم يتغير منه شىء ، ولم تبل ثيابه ، ولم تطل لحيته ، فأشار الرجل إلى الطعام الذى أعده (عزير) وأنه لم يتغير رغم مرور المائة عام ،

ولكن (عزيراً) اعتبر ذلك حجة له لا عليه ، فالطعام لا يتغير فى بضع ساعات ، فسأله (أين حمارك) الذى قدمت عليه ، فقال : ربما فك عقاله وهرب ، فأشار الرجل إلى كومة عظام وقال هذه عظام حمارك ، فنفى ذلك ، وأذن الله للعظام أن ترتفع وتتشابك ، وإذا بهيكل عظمى لحمار ثم كسا العظام لحماً ، وأطلق فيه الروح ، فأخذ يهز ذيله وينهق ، وعرف عزير حماره ، وأيقن أن الله قادر على إعادة الحياة للقدس كما أحياه بعد مائة عام :

﴿أَوْ كَالَّذِى مَرَّ عَلَىٰ قَرْيَةٍ وَهِىَ خَاوِيَةٌ عَلَىٰ عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّىٰ يُحْىِۦ هَٰذِهِ ٱللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا ۖ فَأَمَاتَهُ ٱللَّهُ مِا۟ئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُۥ ۖ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ ۖ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۖ قَالَ بَل لَّبِثْتَ مِا۟ئَةَ عَامٍ فَٱنظُرْ إِلَىٰ طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ ۖ وَٱنظُرْ إِلَىٰ حِمَارِكَ وَلِنَجْعَلَكَ ءَايَةً لِّلنَّاسِ ۖ وَٱنظُرْ إِلَى ٱلْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا ۚ فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُۥ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٢٥٩﴾﴾ [البقرة: الآية ٢٥٩] .

* * *

٧ - الحصان



الخيل قبل أن تخترع وسائل النقل الحديثة من سيارات وقطارات وطائرات وسفن كانت القوة الضاربة ، وأسرع وسيلة فى الزمن القديم ، فالحصان أسرع من الجمل ، ومن البغل ومن الحمار ، وهى دواب الركوب.

وأول من روض الخيل وذللها للإنسان كان سيدنا إسماعيل عليه السلام ، وقد شب على الفتوة والشجاعة والجرأة ، وبينما هو فى الصحراء للصيد رأى قطيعاً من الخيل يقوده فرس أسمر قوى البنيان ، سريع الحركة ، فحدثته نفسه وألهمه الله أن يخضعه فيخضع القطيع ، ونجح بالحيلة والمراوغة حتى اعتلى ظهره ، وانطلق به كالريح مسافات بعيدة ، حتى أجهده وأخضعه ، وأحس بنشوة وسعادة بالغة ، ثم ساق القطيع إلى مكة .

ومن هنا كان الحصان العربى أعظم الخيل فى العالم ، وكان اكتشاف ركوب الخيل انقلاباً فى عالم الأسفار والحروب .

وعندما نقرأ قول الله تعالى : ﴿وَالْخَيْلَ وَالْبِغَالَ وَالْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨﴾ [النحل: الآية ٨] قصد الخيل أولاً فهى

متعة الركوب وزينة الدنيا ، والذين يمتلكون الطائرات الضخمة والسيارات الفارهة يجدون متعة أكبر فى ركوب الخيل .

وما يزال الملوك والزعماء يجدون فى سباق الخيل وركوبها متعة ، والله أقسم بها واعتبرها القوة الضاربة فى الحرب ، ووصف صوتها وهى تجرى بالضبح وحوافرها وهى تضرب الأرض ترسل شرراً ، والفرسان فى الحروب كانوا فى مقدمة الجيوش ، وهم الذين يغيرون على الأعداء عند مطلع الفجر ، وتثير الخيل الغبار فى جو المعركة .

﴿وَٱلْعَـٰدِيَـٰتِ ضَبْحًا ﴿١﴾ فَٱلْمُورِيَـٰتِ قَدْحًا ﴿٢﴾ فَٱلْمُغِيرَٰتِ صُبْحًا ﴿٣﴾ فَأَثَرْنَ بِهِۦ نَقْعًا ﴿٤﴾ فَوَسَطْنَ بِهِۦ جَمْعًا ﴿٥﴾﴾ [العاديات : الآيات ١ - ٥] .

وقد أوصى الله المسلمين أن يعدوا القوة البشرية والمادية ، وعلى رأسها الخيل ليرهبوا أعداء الله والمنافقين الذين كانوا يكيدون للمسلمين فى المدينة : ﴿وَأَعِدُّواْ لَهُم مَّا ٱسْتَطَعْتُم مِّن قُوَّةٍ وَمِن رِّبَاطِ ٱلْخَيْلِ تُرْهِبُونَ بِهِۦ عَدُوَّ ٱللَّهِ وَعَدُوَّكُمْ وَءَاخَرِينَ مِن دُونِهِمْ لَا تَعْلَمُونَهُمُ ٱللَّهُ يَعْلَمُهُمْ وَمَا تُنفِقُواْ مِن شَىْءٍ فِى سَبِيلِ ٱللَّهِ يُوَفَّ إِلَيْكُمْ وَأَنتُمْ لَا تُظْلَمُونَ ﴿٦٠﴾﴾ [الأنفال : الآية ٦٠] .

قصة سيدنا سليمان والخيل :

كان سيدنا سليمان عليه السلام ذا ملك عظيم ، سخر الله له الإنس والجن والشياطين والطير والريح ، وكان يخرج فى موكب عظيم يهز الدنيا ، الطير تظلله ، والإنس والجن عن يمينه وشماله ، والريح فى خدمته حتى أنه لما مر (بوادى النمل) خافت ملكة النمل على أبناء جنسها أن تدهمهم خيول سليمان (والقوى لا يشعر بالضعيف) فطلبت منهم أن يختبئوا فى جحورهم ، وهى أرادت بذلك (ألا ينشغلوا عن ذكر الله بموكب سليمان) (أو أن تدوسهم حوافر الخيل ، فتقضى على القوة العاملة ويموت الصغار) ونقلت الريح كلام النملة لسليمان ، وكان يعرف لغة الحيوان والطير

والحشرات فتبسم وازداد تواضعاً ، ولم يأخذه الغرور ، وشكر الله على عظيم نعمه : ﴿حَتَّىٰٓ إِذَآ أَتَوۡاْ عَلَىٰ وَادِ ٱلنَّمۡلِ قَالَتۡ نَمۡلَةٞ يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّمۡلُ ٱدۡخُلُواْ مَسَٰكِنَكُمۡ لَا يَحۡطِمَنَّكُمۡ سُلَيۡمَٰنُ وَجُنُودُهُۥ وَهُمۡ لَا يَشۡعُرُونَ ﴿١٨﴾ فَتَبَسَّمَ ضَاحِكٗا مِّن قَوۡلِهَا وَقَالَ رَبِّ أَوۡزِعۡنِيٓ أَنۡ أَشۡكُرَ نِعۡمَتَكَ ٱلَّتِيٓ أَنۡعَمۡتَ عَلَيَّ وَعَلَىٰ وَٰلِدَيَّ وَأَنۡ أَعۡمَلَ صَٰلِحٗا تَرۡضَىٰهُ وَأَدۡخِلۡنِي بِرَحۡمَتِكَ فِي عِبَادِكَ ٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٩﴾﴾

[النمل : الآيتان ١٨، ١٩] .

وكان سليمان يستعرض الخيل ويطمئن على سلامتها ونظافتها وتغذيتها ، فهى القوة الضاربة ، وذات يوم استعرضها عصراً وأعجب بها وأخذ يمسح على أعناقها وعلى سيقانها فى سعادة غامرة فشغلته عن موعد صلاته ، وانطلقت حتى اختفت عن الأنظار ، أو أنها انطلقت حتى غابت الشمس ، وكان لسليمان صلاتان كأبيه صلاة عند الشروق وصلاة عند العشى ، وطلب أن تعود الخيل وأحسن استقبالها ، وأخذ يتحسس أعناقها وسيقانها وكأنه يقول لها سامحك الله لقد شغلتنى عن طاعة ربى ، ولكن ليس لها ذنب .

﴿وَوَهَبۡنَا لِدَاوُۥدَ سُلَيۡمَٰنَۚ نِعۡمَ ٱلۡعَبۡدُ إِنَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿٣٠﴾ إِذۡ عُرِضَ عَلَيۡهِ بِٱلۡعَشِيِّ ٱلصَّٰفِنَٰتُ ٱلۡجِيَادُ ﴿٣١﴾ فَقَالَ إِنِّيٓ أَحۡبَبۡتُ حُبَّ ٱلۡخَيۡرِ عَن ذِكۡرِ رَبِّي حَتَّىٰ تَوَارَتۡ بِٱلۡحِجَابِ ﴿٣٢﴾ رُدُّوهَا عَلَيَّۖ فَطَفِقَ مَسۡحَۢا بِٱلسُّوقِ وَٱلۡأَعۡنَاقِ ﴿٣٣﴾﴾ .

[ص : الآيات ٣٠- ٣٣]

والإسرائيليات تدعى أنه أعادها وقطع رقابها وسيقانها تخلصاً منها ، وهذا مرفوض وما ذنب الخيل وهى نعمة وقوة .

يقول عليه الصلاة والسلام : « **إن اللّه كتب الإحسان على كل شىء ، فإذا قتلتم فأحسنوا القتلة ، وإذا ذبحتم فأحسنوا الذبحة ، وليحد أحدكم شفرته وليرح ذبيحته** » .

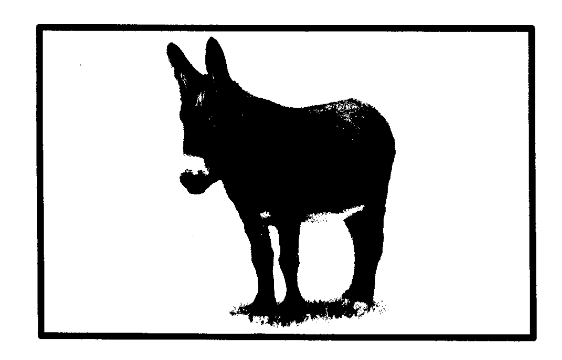
والله جعل الخيل من زينة الدنيا التى تسعد الإنسان بشرط ألا تطغيه

(فأسعده بالنساء) و (بالأولاد) و (بالأموال الطائلة) ، وكانت قديماً تقاس بالذهب والفضة) ولم تعرف البشرية الأوراق المالية إلا قريباً ، (والخيل بسرجها الجميل ومنظرها المبهر) (والأنعام المتعددة من قطعان الجمال والأبقار والأغنام والماعز) تعطى السعادة فى غدوها ورواحها (والحرث من حدائق زاهية وأشجار مثمرة وأراضى متعددة المحاصيل) .

كل ذلك متاع الدنيا ينتهى عندها (أما فى الآخرة فمتاع الجنة دائم) ﴿زُيِّنَ لِلنَّاسِ حُبُّ ٱلشَّهَوَٰتِ مِنَ ٱلنِّسَآءِ وَٱلْبَنِينَ وَٱلْقَنَٰطِيرِ ٱلْمُقَنطَرَةِ مِنَ ٱلذَّهَبِ وَٱلْفِضَّةِ وَٱلْخَيْلِ ٱلْمُسَوَّمَةِ وَٱلْأَنْعَٰمِ وَٱلْحَرْثِ ۗ ذَٰلِكَ مَتَٰعُ ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا ۖ وَٱللَّهُ عِندَهُۥ حُسْنُ ٱلْمَـَٔابِ ﴿١٤﴾﴾ [آل عمران : الآية ١٤] .

* * *

٨ - البغـل



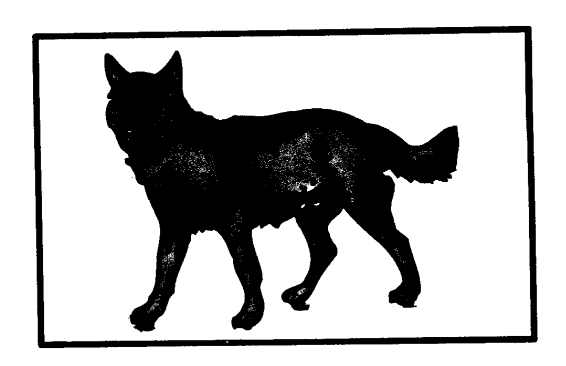
نلاحظ فى قول الله تعالى : ﴿ وَٱلْخَيْلَ وَٱلْبِغَالَ وَٱلْحَمِيرَ لِتَرْكَبُوهَا وَزِينَةً وَيَخْلُقُ مَا لَا تَعْلَمُونَ ۝٨ ﴾ [النحل : الآية ٨] .

أن البغال وقعت وسطاً بين الخيل والحمير.

والحقيقة أن البغل حيوان عجيب ، فهو حيوان عقيم يتولد كل منها من تزاوج (الحمار) و (الفرس) وقد أخذت البغال قوة الشكيمة من هذين ، وعندها قوة تحمل رهيبة ، ويعتمد عليها فى جر العربات الضخمة .

* * *

٩ - الذئب



حيوان مفترس ، يوصف بأنه غادر ، وحتى يقولون عن الإنسان المغتصب لفتاة (ذئب بشرى) ويوجد فى بعض أنحاء مصر ، وهو حيوان ليلى يختفى نهاراً ويظهر ليلاً للافتراس ، يسطو على الأغنام والأرانب والدواجن .

والذئب حسب المناطق يختلف فى الطول والحجم والشراسة ، ويعيش جماعات ، وهو من فصائل الكلاب ، وحاسة الشم عنده قوية .

والذئب يضرب به المثل فى اليقظة وتناولته الأشعار ، ولكن الإنسان ظلمه ونسب إليه جريمة وحشية ما ارتكبها .

ونشكر الذئب لأنه كشف لنا حقيقة وطبيعة الإسرائيليين الأصليين الأوائل (أبناء يعقوب) عليه السلام ، وهو (إسرائيل) .

كان يعقوب عليه السلام نبياً ابن نبى وجده نبى ، فهو (يعقوب بن إسحاق بن إبراهيم) ورزق بأولاد عديدين ، كان أنجبهم وأحبهم إلى قلبه (يوسف عليه السلام) وخاصة لما عرض يوسف عليه رؤياه التى لا تكون إلا

لنبى ﴿إِذْ قَالَ يُوسُفُ لِأَبِيهِ يَٰٓأَبَتِ إِنِّى رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَٱلشَّمْسَ وَٱلْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِى سَٰجِدِينَ ﴿٤﴾﴾ [يوسف : الآية ٤] .

أحب يعقوب ولده يوسف ، وتعلق به أكثر ، ولم يشأ أن يفسر الرؤيا له مع أن يعقوب كان من المفسرين ، لكنه حذره من إخوته إذا ما قصها عليهم سيكيدون له ويلعب الشيطان برءوسهم ، واكتفى يعقوب عليه السلام بأن أشار إلى يوسف أن له مستقبلاً باهراً ، فالله سبحانه سيختاره نبياً ، كما كانت نبوة (إبراهيم وإسحق ويعقوب) .

وكان يوسف صغيراً فلم يدرك أبعاد الرؤيا ، ولم يفكر فيما قاله أبوه ﴿قَالَ يَٰبُنَىَّ لَا تَقْصُصْ رُءْيَاكَ عَلَىٰٓ إِخْوَتِكَ فَيَكِيدُوا۟ لَكَ كَيْدًا ۖ إِنَّ ٱلشَّيْطَٰنَ لِلْإِنسَٰنِ عَدُوٌّ مُّبِينٌ ﴿٥﴾ وَكَذَٰلِكَ يَجْتَبِيكَ رَبُّكَ وَيُعَلِّمُكَ مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِ وَيُتِمُّ نِعْمَتَهُۥ عَلَيْكَ وَعَلَىٰٓ ءَالِ يَعْقُوبَ كَمَآ أَتَمَّهَا عَلَىٰٓ أَبَوَيْكَ مِن قَبْلُ إِبْرَٰهِيمَ وَإِسْحَٰقَ ۚ إِنَّ رَبَّكَ عَلِيمٌ حَكِيمٌ ﴿٦﴾﴾ [يوسف : الآيتان ٥، ٦] .

وبدأت أحقاد إخوة يوسف تتزايد عليه ، وهم يرون أباهم متعلقاً به ، وعبروا عن ذلك بأن أباهم جاوز الحد فى حب يوسف ، ونسى عشرة رجال أشداء هم الذين يقومون بالعمل ويجلبون الرزق لهذه الأسرة ، وهم لا يتهمون أباهم بالضلال الذى هو عكس الحق أو الهدى ، وإنما حبه ليوسف الذى جاوز الحد ﴿ لَّقَدْ كَانَ فِى يُوسُفَ وَإِخْوَتِهِۦٓ ءَايَٰتٌ لِّلسَّآئِلِينَ ﴿٧﴾ إِذْ قَالُوا۟ لَيُوسُفُ وَأَخُوهُ أَحَبُّ إِلَىٰٓ أَبِينَا مِنَّا وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّ أَبَانَا لَفِى ضَلَٰلٍ مُّبِينٍ ﴿٨﴾﴾ [يوسف : الآيتان ٧، ٨] .

وبدأ تفكيرهم فى الخلاص من يوسف ، ولكى يحققوا ذلك لابد من إبعاده عن أبيه الحريص عليه المتعلق به ، وطرحوا آراءهم وكانت آراء دموية التفكير فى القتل ، وهذه حقيقة الإسرائيليين فى كل زمان ومكان ، هم دمويون ، يميلون لسفك الدماء ، ورأى آخر أن القتل صعب ، ويمكن إلقاؤه في الصحراء لا يدرون عنه شيئاً ، وهو قتل أبشع ، فإنه سيموت ألف مرة ،

ويتعرض للجوع والعطش والوحوش والزواحف ، ورأى ثالث أن الأمرين قاسيان ، وما داموا يريدون التخلص منه فلا مانع من إلقائه فى بئرهم يستقون منها ، وتمر بها القوافل فلعل قافلة تأخذه بعيداً عن هذه الديار .

﴿اقْتُلُوا يُوسُفَ أَوِ اطْرَحُوهُ أَرْضًا يَخْلُ لَكُمْ وَجْهُ أَبِيكُمْ وَتَكُونُوا مِن بَعْدِهِ قَوْمًا صَالِحِينَ ۝ قَالَ قَائِلٌ مِّنْهُمْ لَا تَقْتُلُوا يُوسُفَ وَأَلْقُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ يَلْتَقِطْهُ بَعْضُ السَّيَّارَةِ إِن كُنتُمْ فَاعِلِينَ ۝﴾ [يوسف : الآيتان ٩، ١٠] .

وكان الأصعب فى الأمر كيف ينتزعون يوسف من أحضان أبيه ، وهو لا يطيق فراقه ، وجاءوه من باب المصلحة والحرص على يوسف ، فهو صبى صغير يحتاج إلى المرح والانطلاق والتعرض للشمس والهواء ، حتى لا يتعرض للمرض والنحول .

﴿قَالُوا يَا أَبَانَا مَا لَكَ لَا تَأْمَنَّا عَلَىٰ يُوسُفَ وَإِنَّا لَهُ لَنَاصِحُونَ ۝ أَرْسِلْهُ مَعَنَا غَدًا يَرْتَعْ وَيَلْعَبْ وَإِنَّا لَهُ لَحَافِظُونَ ۝﴾ [يوسف : الآيتان ١١، ١٢] .

وأحس يعقوب بالخطر ، ولمس من كلامهم الحقد والخيانة ، فتعلق به أكثر ، وأراد أن يعتذر لهم لعدم صحبته خارج المكان لكنه وقع فى الفخ الذى نصبوه له ، وأخذوا منه الحجة التى سيحتجون بها بعد الخلاص من يوسف .

عبر يعقوب عليه السلام عن حبه ليوسف أنه يحزنه أن يأخذوه مع أنهم أبناؤه وإخوة يوسف ، وأضاف أخاف أن يغفلوا عنه فيأتى الذئب ويأكله ، وكيف للذئب أن يقرب من عشرة رجال أشداء معهم العصى ، وأدوات القتال ، والمعروف عن الذئب أنه يأخذ الحمل المبتعد عن القطيع ، لكنه لا يقترب من مجموعة رجال أشداء أو كلب ينبح .

وتضاحكوا كيف للذئب أن يفعل ذلك ويوسف بينهم إذن لا معنى لحياتهم ﴿قَالَ إِنِّي لَيَحْزُنُنِي أَن تَذْهَبُوا بِهِ وَأَخَافُ أَن يَأْكُلَهُ الذِّئْبُ

﴿وَأَنتُمْ عَنْهُ غَافِلُونَ ﴿١٣﴾ قَالُوا لَئِنْ أَكَلَهُ الذِّئْبُ وَنَحْنُ عُصْبَةٌ إِنَّا إِذًا لَّخَاسِرُونَ ﴿١٤﴾﴾ [يوسف : الآيتان ١٣، ١٤] .

واستسلم يعقوب عليه السلام ، واصطحبوا يوسف الصغير الذى كان سعيداً بهذه الرحلة ، وهذا الانطلاق وهم يبتون شراً له ، وما أن وصلوا إلى البئر حتى جردوه من ثيابه ، وأوسعوه ضرباً وألقوا به فى قاع البئر ، لا يهمهم أن يكون فى القاع ثعبان أو حشرة أو أن الماء بارد ، لقد شفوا غليلهم ، وتخلصوا منه ، وهنا أوحى الله إليه لا تحزن يا يوسف ، وسيأتى يوم تواجههم بهذه الجريمة ، وأنت فى مقام أعلى ﴿فَلَمَّا ذَهَبُوا بِهِ وَأَجْمَعُوا أَن يَجْعَلُوهُ فِي غَيَابَتِ الْجُبِّ وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ لَتُنَبِّئَنَّهُم بِأَمْرِهِمْ هَٰذَا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١٥﴾﴾ [يوسف : الآية ١٥] .

وراقبوا الموقف حتى جاءت قافلة وأخذت يوسف ومضت بعيداً فى اتجاه مصر (ويعقوب عليه السلام وأهله كانوا فى بادية الأردن) ، وظلوا حتى جن الليل لأن الظلام يخفى وجوههم ومكرهم ، وحبكوا قصة مفضوحة ، وأعدوا أدلة باطلة تفضح كذبهم ، دخلوا على أبيهم ليلاً وهم يبكون ، ويسكبون دموع التماسيح ، وقصوا عليه ما حدث وكل واحد منهم يضيف للقصة أبعاداً كشهود الزور ، أخبروه أنهم عملوا سباقاً وتركوا يوسف يحرس المتاع ، وهل خرج يوسف معهم ليحرس أمتعتهم ، وهم يلهون ويلعبون وهم الذين وعدوا أباهم بإسعاده ، ولما ابتعدوا جاء الذئب وأكله لم يبق منه لا عظماً ولا لحماً ، وإنما أبقى على ثوبه الذى سكبوا عليه دم غزال أو طائر لطخوه بدماء كاذبة ، والعجيب أنهم بعد أن قصوا روايتهم عاتبوا أباهم لأنه لن يصدقهم والأب المغلوب على أمره لم يتكلم بعد ، والمجرم دائماً مهما أحكم جريمته لابد وأن يترك أثراً يدل عليه ﴿وَجَاءُوا أَبَاهُمْ عِشَاءً يَبْكُونَ ﴿١٦﴾ قَالُوا يَا أَبَانَا إِنَّا ذَهَبْنَا نَسْتَبِقُ وَتَرَكْنَا يُوسُفَ عِندَ مَتَاعِنَا فَأَكَلَهُ الذِّئْبُ وَمَا أَنتَ بِمُؤْمِنٍ لَّنَا وَلَوْ كُنَّا صَادِقِينَ ﴿١٧﴾﴾ [يوسف : الآيتان ١٦، ١٧] .

وهل كان الذئب من النبل وكرم الأخلاق بحيث طلب من يوسف أن يخلع ثوبه ، ثم افترسه ، وليس فى الثياب أنياب ولا مخالب ، والدماء التى عليه توحى بأنها دماء طائر ، فدم الإنسان معروف ، وتأكد ليعقوب عليه السلام أنهم قد نفذوا مخططهم وتخلصوا من يوسف ، وفرقوا بينه وبينه لكنه أحس بارتياح فمن الملابسات فهم أن يوسف حى ، وأنهم لم يقتلوه ، ولم يجد إلا أن يركن إلى الله يستمد منه المعونة والصبر ﴿وَجَآءُو عَلَىٰ قَمِيصِهِۦ بِدَمٍ كَذِبٍۚ قَالَ بَلْ سَوَّلَتْ لَكُمْ أَنفُسُكُمْ أَمْرًاۖ فَصَبْرٌ جَمِيلٌۖ وَٱللَّهُ ٱلْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ ﴿١٨﴾﴾ [يوسف: الآية ١٨] .

وقدر ليوسف أن يخرج من البادية والحياة القاسية ليحيا حياة مرفهة ، ويعتلى أعلى منصب فى مصر ، ويصير المتصرف فى شئونها ، ويأتيه إخوته صاغرين تائبين نادمين ، ويصفح عنهم ويدعوهم للإقامة فى مصر .

﴿ٱذْهَبُوا۟ بِقَمِيصِى هَـٰذَا فَأَلْقُوهُ عَلَىٰ وَجْهِ أَبِى يَأْتِ بَصِيرًا وَأْتُونِى بِأَهْلِكُمْ أَجْمَعِينَ ﴿٩٣﴾﴾ [يوسف: الآية ٩٣] .

واستقبلت مصر يعقوب عليه السلام وأسرته أحسن استقبال ، ورفعه يوسف فوق العرش ، وجاءت اللحظة الحاسمة حينما سجد إخوة يوسف له ، وكان سجود تحية وليس سجود عبادة ، تحية الرعية لملوك مصر ، ولم يحاول أن يحرجهم وإنما ذكر أباه برؤياه وهو صغير التى لم يفسرها له ، وهاهو تفسير الرؤيا فقد تحققت بعد أكثر من عشرين عاماً ، وكيف كانت رحمة الله به واسعة ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى ٱلْعَرْشِ وَخَرُّوا۟ لَهُۥ سُجَّدًاۖ وَقَالَ يَـٰٓأَبَتِ هَـٰذَا تَأْوِيلُ رُءْيَـٰىَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّى حَقًّاۖ وَقَدْ أَحْسَنَ بِىٓ إِذْ أَخْرَجَنِى مِنَ ٱلسِّجْنِ وَجَآءَ بِكُم مِّنَ ٱلْبَدْوِ مِنۢ بَعْدِ أَن نَّزَغَ ٱلشَّيْطَـٰنُ بَيْنِى وَبَيْنَ إِخْوَتِىٓۚ إِنَّ رَبِّى لَطِيفٌ لِّمَا يَشَآءُۚ إِنَّهُۥ هُوَ ٱلْعَلِيمُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٠٠﴾﴾ [يوسف: الآية ١٠٠] .

وفى نهاية المطاف دعا يوسف بدعاء خاشع فهو قد نال الملك وعرف

علم الأحاديث ، ويريد ما هو أفضل ما عند الله أن يموت على الإسلام ، وأن يلحقه بركب الصالحين الذين سبقوه مثل (جده إبراهيم) (وجده إسحق) (وأبيه يعقوب) ﴿ رَبِّ قَدْ ءَاتَيْتَنِي مِنَ ٱلْمُلْكِ وَعَلَّمْتَنِي مِن تَأْوِيلِ ٱلْأَحَادِيثِۚ فَاطِرَ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ أَنتَ وَلِيِّۦ فِي ٱلدُّنْيَا وَٱلْأٓخِرَةِۖ تَوَفَّنِي مُسْلِمًا وَأَلْحِقْنِي بِٱلصَّٰلِحِينَ ﴿١٠١﴾ ﴾ [يوسف : الآية ١٠١] .

* * *



١٠ - القرد

حيوان ذو ملامح منفرة ، وهو دائب الحركة ، ويأتى بأفعال منكرة مكشوف العورة ، هكذا خلقه الله ، ٠ ويمكن ترويضه وتدريبه على الألعاب الخطيرة) وبعض المجرمين يستخدمونه فى النشل وسرقة المنازل ، لأنه بارع فى تسلق الأشجار والمرتفعات ، وينتقل بين الأشجار بحركات بهلوانية تثير الإعجاب .

أصحاب السبت القردة :

لم يمسخ الله أمة إلى أحط حيوان وهو القرد كما فعل ببنى إسرائيل ، لقد فرض الله عليهم (يوم الجمعة) فحادوا عنه ورضوا بيوم السبت ، وجاءت شريعة موسى عليه السلام لتحرم عليهم العمل الدنيوى ليلة السبت ويومه ، وأن يتفرغوا لعبادة الله .

وجاءت أجيال بعد موسى منحرفة عبثت بيوم السبت ، وقد سيته ، وأراد المولى أن يختبر بعض بنى إسرائيل وهل هم على عهدهم فى الامتناع عن العمل يوم السبت ، وساق لهم تجربة مثيرة ، وفى مدينة من مدن

السواحل لا يهمنا مكانها ، ولا زمانها يعمل أهلها بالصيد وهم من الإسرائيليين ، فكان بعضهم يعمل يوم السبت سراً ، ويظن أن الله لا يراه .

ساق الله لهم الأسماك بكميات كبيرة مشرعة رءوسها وذيولها فوق الماء كأنما تنادى على الصيادين لاصطيادها ، فإذا ما كان اليوم التالى وبقية الأسبوع لا تظهر سمكة فى البحر ، كأنما خلا من الأسماك وهم واقفون مكتوفى الأيدى أمام هذا الأمر ، ولا يستطيعون نصب الشباك لحرمة يوم السبت ، ثم انقسم أهل المدينة إلى ثلاثة أقسام :

القسم الأول : جماعة نصبوا الشباك (يوم الجمعة) وتركوها (يوم السبت) حتى امتلأت بالأسماك ، وسحبوها (يوم الأحد) ، وهم يظنون أنهم ما انتهكوا حرمة يوم السبت .

القسم الثانى : جماعة لم تشاركهم الصيد وإنما أيدتهم وصفقت لهم ودافعت عن فعلهم .

القسم الثالث : جماعة ما زالت على دين ترى أن هذا العمل انتهاك لحرمة يوم السبت وخروجاً على الشريعة ولابد من الكف عن ذلك وإلا عاقبهم الله وتصدت لهم الجماعة المتوسطة وجادلتهم بأن الله هو الذى سيتولى أمرهم وأولى بكم أن تكفوا عن ذلك .

فقالت الفرقة الناجية : لا عذر لنا عند الله ، وإنما نتبرأ من فعلهم ، فلما استمروا على ذلك ابتلاهم الله بمرض أو وباء أو شدة ، نالت الفريقين المنحرفين ، ونجت الفرقة الثالثة ، فلما كشف الله عنهم العذاب وأعطاهم فرصة جديدة عاندوه ونزلوا للصيد يوم السبت جهاراً نهاراً متحدين أمر السماء .

وهنا حولهم الله قردة ونجت الفرقة المهتدية ، ويقال : إن هذه القردة لم تتناسل حتى انقرضت ، ومن هنا خاف اليهود طوال التاريخ من العمل يوم السبت حتى لا يمسخهم الله قردةً ﴿وَسْـَٔلْهُمْ عَنِ ٱلْقَرْيَةِ ٱلَّتِى

﴿كَانَتْ حَاضِرَةَ ٱلْبَحْرِ إِذْ يَعْدُونَ فِى ٱلسَّبْتِ إِذْ تَأْتِيهِمْ حِيتَانُهُمْ يَوْمَ سَبْتِهِمْ شُرَّعًا وَيَوْمَ لَا يَسْبِتُونَ لَا تَأْتِيهِمْ ۚ كَذَٰلِكَ نَبْلُوهُم بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٣﴾ وَإِذْ قَالَتْ أُمَّةٌ مِّنْهُمْ لِمَ تَعِظُونَ قَوْمًا ۙ ٱللَّهُ مُهْلِكُهُمْ أَوْ مُعَذِّبُهُمْ عَذَابًا شَدِيدًا ۖ قَالُوا مَعْذِرَةً إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَلَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ ﴿١٦٤﴾ فَلَمَّا نَسُوا مَا ذُكِّرُوا بِهِۦٓ أَنجَيْنَا ٱلَّذِينَ يَنْهَوْنَ عَنِ ٱلسُّوٓءِ وَأَخَذْنَا ٱلَّذِينَ ظَلَمُوا بِعَذَابٍۭ بَـِٔيسٍۭ بِمَا كَانُوا يَفْسُقُونَ ﴿١٦٥﴾ فَلَمَّا عَتَوْا عَن مَّا نُهُوا عَنْهُ قُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿١٦٦﴾﴾ [الأعراف: الآيات ١٦٣- ١٦٦] .

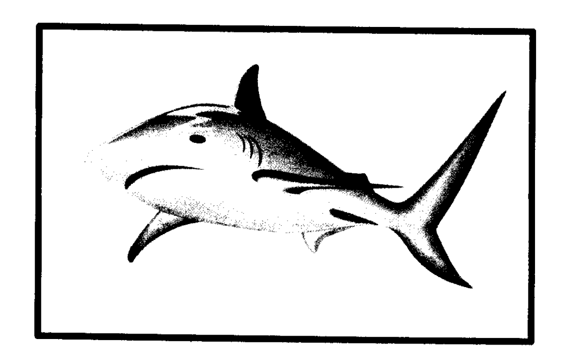
والله يذكر اليهود بما حدث فى الماضى : ﴿وَلَقَدْ عَلِمْتُمُ ٱلَّذِينَ ٱعْتَدَوْا مِنكُمْ فِى ٱلسَّبْتِ فَقُلْنَا لَهُمْ كُونُوا قِرَدَةً خَٰسِـِٔينَ ﴿٦٥﴾﴾ [البقرة: الآية ٦٥] ، والله ذم اليهود الذين مسخ أجدادهم قردة وخنازير ، والذين عبدوا الأصنام ، وعبدوا الشيطان ، فهم أخس الأمم يسخرون من المؤمنين الذين آمنوا بما أنزل على محمد وعلى بقية الرسل .

ولكن الله وصمهم بالفسق وكتب عليهم اللعنة ، وتوعدهم بنار حامية : ﴿قُلْ يَٰٓأَهْلَ ٱلْكِتَٰبِ هَلْ تَنقِمُونَ مِنَّآ إِلَّآ أَنْ ءَامَنَّا بِٱللَّهِ وَمَآ أُنزِلَ إِلَيْنَا وَمَآ أُنزِلَ مِن قَبْلُ وَأَنَّ أَكْثَرَكُمْ فَٰسِقُونَ ﴿٥٩﴾ قُلْ هَلْ أُنَبِّئُكُم بِشَرٍّ مِّن ذَٰلِكَ مَثُوبَةً عِندَ ٱللَّهِ ۚ مَن لَّعَنَهُ ٱللَّهُ وَغَضِبَ عَلَيْهِ وَجَعَلَ مِنْهُمُ ٱلْقِرَدَةَ وَٱلْخَنَازِيرَ وَعَبَدَ ٱلطَّٰغُوتَ ۚ أُولَٰٓئِكَ شَرٌّ مَّكَانًا وَأَضَلُّ عَن سَوَآءِ ٱلسَّبِيلِ ﴿٦٠﴾﴾ [المائدة: الآيتان ٥٩، ٦٠] .

إن الذين كفروا بالله وصدوا عن سبيله ، وألحدوا فى كتابه هم أشد بشاعة من القرود الخسيسة فى طباعها ، المنحرفة ، فالقرد يأتى أنثاه أمام الناس ، ويصدر حركات بهلوانية ووجهه قبيح .

* * *

١١ - الحــوت



أضخم حيوان بحرى ، وكم تحتوى البحار والمحيطات والأنهار على أحياء مائية متنوعة ، وهى حلال للإنسان سواء كانت حية أو ميتة ، حلال فى حله وفى إحرامه ﴿أُحِلَّ لَكُمْ صَيْدُ الْبَحْرِ وَطَعَامُهُ مَتَاعًا لَّكُمْ وَلِلسَّيَّارَةِ وَحُرِّمَ عَلَيْكُمْ صَيْدُ الْبَرِّ مَا دُمْتُمْ حُرُمًا وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي إِلَيْهِ تُحْشَرُونَ ﴿٩٦﴾﴾ [المائدة : الآية ٩٦] .

والحوت يستطيع أن يقلب سفينة كبيرة إذا اصطدم بها ، وهو حيوان ثديى يلد ، والنبى عليه الصلاة والسلام يقول : « **أحل لنا ميتتان ودمان ، فأما الميتتان فالحوت والجراد ، وأما الدمان فالكبد والطحال** » .

والبحر يحتوى على عجائب وغرائب ومخلوقات متنوعة الأشكال والألوان والأحجام ، والكبير يبتلع الصغير ، وتضع الأسماك البيض لتعيش زمناً طويلاً ، والماء أربعة أخماس الأرض ، وهو متنوع منه المالح ومنه العذب ، وفيه جواهر ولآلئ ومرجان ، ولحم طرى هو لحم الأسماك الذى جعله الله عوضاً عن اللحم الأحمر أو لحوم الدواجن ، والأسماك نحو عشرين ألف

صنف ، ومن حكمة الله أن الأنهار تصب فى البحار وليس العكس ، وإلا لفسدت الحياة ﴿ وَهُوَ ٱلَّذِى مَرَجَ ٱلْبَحْرَيْنِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا وَحِجْرًا مَّحْجُورًا ﴿٥٣﴾ ﴾ [الفرقان : الآية ٥٣] .

والله يقول : ﴿وَمَا يَسْتَوِى ٱلْبَحْرَانِ هَٰذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ سَآئِغٌ شَرَابُهُۥ وَهَٰذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ وَمِن كُلٍّ تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا وَتَسْتَخْرِجُونَ حِلْيَةً تَلْبَسُونَهَا وَتَرَى ٱلْفُلْكَ فِيهِ مَوَاخِرَ لِتَبْتَغُوا۟ مِن فَضْلِهِۦ وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ ﴿١٢﴾ ﴾ [فاطر :الآية ١٢] .

وقد أطلق الله على الأسماك لحماً طرياً ، لأن نسبة الماء فيها عظيمة أكثر من دواب الأرض ، ولهذا فهى خفيفة .

قصة يونس والحوت :

فى بلدة (نينوى) من أعمال الموصل بالعراق الآن ، كانت رسالة سيدنا يونس حين عبد قومه الأصنام ، وانحرفوا عن طريق الفطرة ، أرسل الله إليهم سيدنا يونس يدعوهم للتوحيد والعبودية لله ، لكنهم سبوه وشتموه وأهانوه ، فانسحب من الميدان ، وظن أن الله لا يرضى له أن يهان ، وتوجه إلى ناحية البحر ليبتعد عن قومه ، ورأى سفينة وعرض على أصحابها حمله ، فقبلوا وما إن استقر فى السفينة حتى اضطربت وتمايلت فظن المشرفون عليها أن الحمولة أكثر من اللازم ، فبدءوا يتخلصون من بعض البضائع ، لكنها ازدادت اضطراباً ، وكان يشاع فى هذا الزمان أنه إذا حدث شيء كهذا للسفينة فإن عبداً عليها قد هرب من سيده ، فسألوا عن ذلك فلم يجب أحد .

واضطروا إلى تخفيف الحمولة البشرية ، والقذف ببعض الركاب فى الماء ، واقترعوا فخرجت (القرعة) على يونس فاعادوها ثلاث مرات ، فكانت من نصيب يونس ، فرأى أنه العبد الذى هرب من سيده ورمى بنفسه فى الماء ، فاستقرت السفينة .

فى هذه الحظة أرسل الله حوتاً ضخماً ابتلع يونس وأمره الله ألا يمسه بسوء وأن يحتفظ به كرهينة حتى يطلق الله سراحه .

ووجد يونس نفسه فى ظلمات مطبقة (ظلمة الليل) (وظلمة البحر) (وظلمة بطن الحوت) فسبح بحمد الله واستغاث بالله واعترف بخطئه ﴿وَذَا ٱلنُّونِ إِذ ذَّهَبَ مُغَٰضِبًا فَظَنَّ أَن لَّن نَّقْدِرَ عَلَيْهِ فَنَادَىٰ فِى ٱلظُّلُمَٰتِ أَن لَّآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنتَ سُبْحَٰنَكَ إِنِّى كُنتُ مِنَ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٨٧﴾﴾ [الأنبياء: الآية ٨٧] .

وسمعت الملائكة تسبيحه ولم يعرفوا مكانه ، فقالوا : (يا ربنا إنا نسمع تسبيح عبد من عبادك ، ولا نعرف مكانه) ، فقال الله عز وجل : (إنه عبدى يونس) ، فتوسلوا إليه سبحانه أن يطلق سراحه واستجاب الله وأنقذ يونس من الغم ﴿فَٱسْتَجَبْنَا لَهُۥ وَنَجَّيْنَٰهُ مِنَ ٱلْغَمِّ ۚ وَكَذَٰلِكَ نُـۨجِى ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿٨٨﴾﴾ [الأنبياء : الآية ٨٨] .

والله يلخص قصته وأنه ركب سفينة بضائع ، ثم ألقى بنفسه فى الماء فابتلعه حوت ضخم ومضى به إلى الأعماق ، فصار كالسجين أو كالجنين فى بطن أمه ، أو الميت فى قبره ، ثم سبح الله فتجلى عليه وأخرجه من بطن الحوت ضعيفاً سقيماً لا يستطيع أن يدفع عن نفسه شيئاً ، وأنبت الله عليه شجرة لتظله بأوراقها وتخفيه عن عيون الوحوش ، وتبعد عنه الحشرات (وقيل إنها شجرة القرع) لأنها قريبة من الأرض وأوراقها عريضة وتصدر عنها رائحة تبعد الحشرات ﴿وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿١٣٩﴾ إِذْ أَبَقَ إِلَى ٱلْفُلْكِ ٱلْمَشْحُونِ ﴿١٤٠﴾ فَسَاهَمَ فَكَانَ مِنَ ٱلْمُدْحَضِينَ ﴿١٤١﴾ فَٱلْتَقَمَهُ ٱلْحُوتُ وَهُوَ مُلِيمٌ ﴿١٤٢﴾ فَلَوْلَآ أَنَّهُۥ كَانَ مِنَ ٱلْمُسَبِّحِينَ ﴿١٤٣﴾ لَلَبِثَ فِى بَطْنِهِۦٓ إِلَىٰ يَوْمِ يُبْعَثُونَ ﴿١٤٤﴾ فَنَبَذْنَٰهُ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ سَقِيمٌ ﴿١٤٥﴾ وَأَنۢبَتْنَا عَلَيْهِ شَجَرَةً مِّن يَقْطِينٍ ﴿١٤٦﴾﴾ [الصافات: الآيات ١٣٩- ١٤٦] .

فى نفس الوقت كان قومه قد ندموا على ما فعلوا وتمنوا لو عاد يونس من جديد يقودهم للإيمان ، وتابوا وأنابوا فأمره الله بالعودة إليهم ، وهو يظن

أنه سيبذل جهداً كبيراً فى إقناعهم بالإيمان ، ولكنه فوجئ بأنهم مؤمنون ، فأتم الله عليه النعمة وكانوا أكثر من مائة ألف قليلاً فسعد بهم ﴿وَأَرْسَلْنَـٰهُ إِلَىٰ مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ يَزِيدُونَ ﴿١٤٧﴾﴾ [الصَّافات : الآية ١٤٧] .

وقوم يونس هم الوحيدون الذين آمنوا جميعاً برسولهم ، وأكرمهم الله ﴿فَلَوْلَا كَانَتْ قَرْيَةٌ ءَامَنَتْ فَنَفَعَهَآ إِيمَـٰنُهَآ إِلَّا قَوْمَ يُونُسَ لَمَّآ ءَامَنُوا۟ كَشَفْنَا عَنْهُمْ عَذَابَ ٱلْخِزْىِ فِى ٱلْحَيَوٰةِ ٱلدُّنْيَا وَمَتَّعْنَـٰهُمْ إِلَىٰ حِينٍ ﴿٩٨﴾﴾ [يُونس : الآية ٩٨] .

والنبى عليه الصلاة والسلام كان يعتز بيونس ويقول : « **ما ينبغى لأحد أن يقول أنا خير من يونس بن متى ، فإنه عَبَدَ الله فى موضع لم يصل إليه أحد** » أى عَبَدَ الله فى بطن الحوت .

والله أوصى نبيه محمداً ﷺ وهو فى لحظة ضيق ألا يهرب من المسئولية ، وذكره بيونس الذى فر من ميدان الدعوة ولكن الله تاب عليه وأعطاه فرصة جديدة : ﴿فَٱصْبِرْ لِحُكْمِ رَبِّكَ وَلَا تَكُن كَصَاحِبِ ٱلْحُوتِ إِذْ نَادَىٰ وَهُوَ مَكْظُومٌ ﴿٤٨﴾ لَّوْلَآ أَن تَدَـٰرَكَهُۥ نِعْمَةٌ مِّن رَّبِّهِۦ لَنُبِذَ بِٱلْعَرَآءِ وَهُوَ مَذْمُومٌ ﴿٤٩﴾ فَٱجْتَبَـٰهُ رَبُّهُۥ فَجَعَلَهُۥ مِنَ ٱلصَّـٰلِحِينَ ﴿٥٠﴾﴾ [القَلَم : الآيات ٤٨- ٥٠] .

قصة السمكة وموسى :

وقف سيدنا موسى عليه السلام خطيباً فى بنى إسرائيل ، خطبة ذرفت لها العيون فقال رجل (يا كليم الله هل على وجه الأرض من هو أعلم منك ، فقال : موسى (لا) فقال له المولى : (ارحل إلى مجمع البحرين وستجد من هو أعلم منك) .

ومضى موسى مع فتاه (.يوشع بن نون) وسار مسافات بعيدة فى وقت شديد الحر ، ولما تعب آوى إلى (ظل صخرة) ونام وبينما هو نائم خرجت سمكة من جرابها وسارت على الرمال حتى دخلت الماء وأحدثت طريقاً ، ولما استيقظ موسى وسار فترة طلب السمكة ليأكلها فأخبره الفتى بما

حدث ، فقال له موسى (عد بنا إلى حيث كانت السمكة) ، ولما عاد إلى المكان وتتبع مسار السمكة رأى رجلاً يجلس على قطيفة خضراء على الماء ، فقال له (هل أنت موسى الذى يدعى أنه أعلم أهل الأرض ؟) فقال : (من الذى أخبرك بهذا ؟) قال الرجل : (الذى أرسلك إلىّ) ، ثم قال له : (هل تقبل أن أجلس إليك ، وأتلقى عنك العلم النافع ؟

قال الرجل الصالح : لن تستطيع أن تصبر معى ، فأنت أتيت لتلقى علم لا تعرف حدوده ﴿وَإِذْ قَالَ مُوسَىٰ لِفَتَاهُ لَا أَبْرَحُ حَتَّىٰ أَبْلُغَ مَجْمَعَ الْبَحْرَيْنِ أَوْ أَمْضِيَ حُقُبًا ۝٦٠ فَلَمَّا بَلَغَا مَجْمَعَ بَيْنِهِمَا نَسِيَا حُوتَهُمَا فَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ سَرَبًا ۝٦١ فَلَمَّا جَاوَزَا قَالَ لِفَتَاهُ آتِنَا غَدَاءَنَا لَقَدْ لَقِينَا مِن سَفَرِنَا هَٰذَا نَصَبًا ۝٦٢ قَالَ أَرَأَيْتَ إِذْ أَوَيْنَا إِلَى الصَّخْرَةِ فَإِنِّي نَسِيتُ الْحُوتَ وَمَا أَنسَانِيهُ إِلَّا الشَّيْطَانُ أَنْ أَذْكُرَهُ ۚ وَاتَّخَذَ سَبِيلَهُ فِي الْبَحْرِ عَجَبًا ۝٦٣ قَالَ ذَٰلِكَ مَا كُنَّا نَبْغِ ۚ فَارْتَدَّا عَلَىٰ آثَارِهِمَا قَصَصًا ۝٦٤ فَوَجَدَا عَبْدًا مِّنْ عِبَادِنَا آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِّنْ عِندِنَا وَعَلَّمْنَاهُ مِن لَّدُنَّا عِلْمًا ۝٦٥ قَالَ لَهُ مُوسَىٰ هَلْ أَتَّبِعُكَ عَلَىٰ أَن تُعَلِّمَنِ مِمَّا عُلِّمْتَ رُشْدًا ۝٦٦ قَالَ إِنَّكَ لَن تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا ۝٦٧ وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَىٰ مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خُبْرًا ۝٦٨﴾ [الكهف : الآيات ٦٠- ٦٨] .

وأصر موسى على مرافقته ، ووعده أن يكون تلميذاً مطيعاً ، فاشترط العبد الصالح عليه ألا يسأله عن شيء حتى يوضحه له ، فسيرى أشياء قد ينكرها ﴿قَالَ سَتَجِدُنِي إِن شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي لَكَ أَمْرًا ۝٦٩ قَالَ فَإِنِ اتَّبَعْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي عَن شَيْءٍ حَتَّىٰ أُحْدِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا ۝٧٠﴾ [الكهف : الآيات ٦٩- ٧١] .

وبعد ثلاثة دروس هى (درس السفينة) و (درس الغلام) و (درس القرية) لم يصبر موسى وكان الفراق ، ولكن العبد الصالح أوضح له ما غمض عليه :

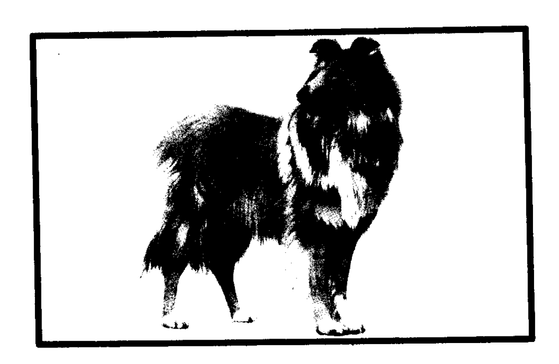
١ - أنه خرق السفينة ليحفظها لأهلها ، وكان هناك ملك يحاول مصادرة أى سفينة صالحة للحرب بدون تعويض ، وهذه سفينة صيد أصحابها مساكين .

٢ - قتل الغلام لأنه إن عاش سيفسد تدين الأبوين ، فأراد الله أن يعوضهما بولد صالح يحفظ عليهما دينهما .

٣ - وأقام الجدار لأنه كان تحته كنز لغلامين يتيمين ، وإذا سقط الجدار أخذ أهل القرية الأشرار الكنز وإكراماً لأبيهما الصالح ساق الله لهما العبد الصالح ليصلح الجدار ويحفظ الكنز حتى يبلغا سن الرشد ، ويستطيعا الدفاع عن المال ، كل هذه رحمة من الله وعلم لدنى .

* * *

١٢ - الكلب



الكلب حيوان أليف ، أمين ، وهو يقوم للإنسان بخدمات جليلة ، يحرس المنازل ويرعى الغنم ، ويساعد الشرطة فى تعقب المجرمين ، وحاسة الشم عنده قوية يكشف مخازن المخدرات .

وهو حيوان نجس يحذر الإسلام منه ، وخاصة من فمه ، لأنه دائماً يخرج لسانه فتقف عليه الميكروبات والجراثيم ، وإذا أصاب لعابه إنساناً فإنه يؤذيه ، وعضة الكلب خطيرة تحتاج إلى علاج طويل ، وإلا أصيب الإنسان (بمرض الكلب) .

والسبب فى إخراج الكلب لسانه أن جهازه التنفسى ضيق ، فيحتاج إلى الاستنشاق من الفم .

وهو ذكى يدرب على الألعاب والمهارات فيؤديها بقدرة عجيبة ، وهو وفى للإنسان قد يعرض نفسه للموت فى سبيل إنقاذ صاحبه ، وهو عدو الذئب ، والذئب يفر منه خوفاً .

والنبى ﷺ حذر من لعاب الكلب ، وأمر بغسل الأوانى التى يلعق فيها

سبع مرات أولاهن بالتراب ، لأن التراب يقضى على الديدان الخطيرة التى توجد فى لعابه ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **إذا ولغ الكلب فى إناء أحدكم فليغسله سبع مرات إحداهن بالتراب** » .

والحيوان كله طاهر إلا الكلب والخنزير ، أو ما تولد منهما أو من أحدهما ، وننصح الأطفال بالابتعاد عن الكلاب ، أو تقبيلها فهى خطيرة تنقل الموت للإنسان .

والكلب حيوان قديم جداً ، ووجدت صوره على حوائط الآثار ، وهو يساعد فى الصيد مستخدماً حاسة الشم ، وتتبع آثار المجرمين وتجار المخدرات .

وهناك الكلاب الحفارة التى تحفر حتى تصل إلى الحيوانات المختفية فى جحور عميقة ، وتخرجها وخصوصاً (الأرانب البرية) .

قصة أصحاب الكهف والكلب :

فى مدينة من المدن القديمة لم يذكر القرآن الكريم اسمها ، ولا مكانها ولا زمانها كان هناك مجموعة من الشباب قد رفضوا عبادة الأصنام التى عليها قومهم ، وكان مليكهم ظالماً ، وفكروا فى مهاجمة قومهم بالقوة ولكنهم قلة فهى عملية انتحارية ، ورأوا أنه من الأفضل الفرار بعقيدتهم إلى مكان يأمنون فيه ، إلى أن يقضى الله ما هو قاض ، وخرجوا بدون زاد أو متاع أو دواب ، ولجأوا إلى كهف بعيد كانوا يجتمعون فيه من وقت لآخر فى وادى يسمى الرقيم ، وما إن وصلوا إلى الكهف حتى سقطوا إعياء وسلط الله عليهم النوم فناموا سنوات طويلة جاوزت الثلاثمائة عام ، ثم أيقظهم الله دليل البعث بعد الموت .

ولقد حاولت قريش إحراج النبى ﷺ واستعانت بأحبار اليهود فى المدينة الذين أمدوهم بأسئلة حرجة وقالوا لهم : (سلوه عن ثلاث ، فإذا أخبركم بهن فهو نبى مرسل ، وإن لم يجبكم فهو رجل متقول افعلوا به ما شئتم ، سلوه عن فتية ذهبوا فى الدهر الأول (وهم يقصدون أصحاب

الكهف) وعن ملك طواف (وهو ذو القرنين) وعن (الروح) .

وألقت قريش بالأسئلة على رسول الله ﷺ فقال لهم : (ايتونى غداً أجبكم » ولم يقل إن شاء الله ، فانقطع الوحى خمسة عشر يوماً ، والنبى ﷺ فى حيرة ، وقريش تتهكم عليه ، والصحابة فى ضيق إلى أن أنزل الله (سورة الكهف) ، وفيها بيان (قصة أصحاب الكهف) (وقصة ذى القرنين) ، أما (الروح) فقد صرفهم الله عنها : ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴿٨٥﴾ ﴾ [الإسراء : الآية ٨٥] .

وأدب الله نبيه أن يقرن كل شىء بمشيئة الله فهو المتصرف فى الكون ، وإذا نسى وتذكر يعود ﴿ وَلَا تَقُولَنَّ لِشَا۟ىْءٍ إِنِّى فَاعِلٌ ذَٰلِكَ غَدًا ﴿٢٣﴾ إِلَّآ أَن يَشَآءَ ٱللَّهُ ۚ وَٱذْكُر رَّبَّكَ إِذَا نَسِيتَ وَقُلْ عَسَىٰٓ أَن يَهْدِيَنِ رَبِّى لِأَقْرَبَ مِنْ هَٰذَا رَشَدًا ﴿٢٤﴾ ﴾ [الكهف : الآيتان ٢٣، ٢٤] .

وكعادة القرآن الكريم فى أسلوبه المعجز (أوجز القصة) فى كلمات قصار : ﴿ أَمْ حَسِبْتَ أَنَّ أَصْحَٰبَ ٱلْكَهْفِ وَٱلرَّقِيمِ كَانُوا۟ مِنْ ءَايَٰتِنَا عَجَبًا ﴿٩﴾ إِذْ أَوَى ٱلْفِتْيَةُ إِلَى ٱلْكَهْفِ فَقَالُوا۟ رَبَّنَآ ءَاتِنَا مِن لَّدُنكَ رَحْمَةً وَهَيِّئْ لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا ﴿١٠﴾ فَضَرَبْنَا عَلَىٰٓ ءَاذَانِهِمْ فِى ٱلْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا ﴿١١﴾ ﴾ [الكهف : الآيات ٩- ١١] .

ومعنى ذلك أن الإنسان لا يستطيع النوم إلا إذا أغلق الله أذنه ، ومادام يسمع الأصوات فلا ينام .

لقد فصل الله القصة تفصيلاً ، وأضاف إليها أبعاداً أخرى ، فوصفهم بأنهم (فتية) اهتدوا إلى الله بفطرتهم لا عن طريق رسول أو كتاب سماوى (وهذا دليل على أن نظرة منصفة إلى الكون توصلك إلى الله) ، ولما أخلصوا زادهم الله هداية ، وربط بينهم بالحق فاتجهوا اتجاهاً واحداً ، وعلموا أن المستحق للعبادة هو خالق السموات والأرض ، ولا يصح أن يعبد غيره ، وأن قومهم على ضلال ولا يمكن اتباع طريقهم ، وعجبوا كيف يخضع

الإنسان العاقل لأصنام صنعها بيده وليس عليها من دليل لتعبد ، واتفقوا فيما بينهم على الفرار بعقيدتهم إلى الكهف الذى يعرفونه (فالكهف فى ظل التوحيد أعظم من أجمل القصور) .

﴿نَّحْنُ نَقُصُّ عَلَيْكَ نَبَأَهُم بِالْحَقِّ ۚ إِنَّهُمْ فِتْيَةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى ﴿١٣﴾ وَرَبَطْنَا عَلَىٰ قُلُوبِهِمْ إِذْ قَامُوا فَقَالُوا رَبُّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ لَن نَّدْعُوَ مِن دُونِهِ إِلَٰهًا ۖ لَّقَدْ قُلْنَا إِذًا شَطَطًا ﴿١٤﴾ هَٰؤُلَاءِ قَوْمُنَا اتَّخَذُوا مِن دُونِهِ آلِهَةً ۖ لَّوْلَا يَأْتُونَ عَلَيْهِم بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ ۖ فَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنِ افْتَرَىٰ عَلَى اللَّهِ كَذِبًا ﴿١٥﴾ وَإِذِ اعْتَزَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأْوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنشُرْ لَكُمْ رَبُّكُم مِّن رَّحْمَتِهِ وَيُهَيِّئْ لَكُم مِّنْ أَمْرِكُم مِّرْفَقًا ﴿١٦﴾﴾ [الكهف : الآيات ١٣- ١٦] .

وتبعهم كلب أحدهم فرضوا بصحبته ، ودخلوا الكهف ، ورقدوا والكلب فى مدخل الكهف كالحارس الأمين ، وناموا جميعاً (الفتية والكلب) وأمر الله الشمس ألا تتسلط عليهم حتى لا تحرق أبدانهم ، وإنما تميل عنهم ، ناموا وعيونهم مفتوحة حتى يخيل للرائى أنهم مستيقظون ، وكان الله يقلبهم يمنة ويسرة حتى لا تأكل الأرض من جنوبهم وأجسامهم ، وكانوا مجموعة من الفتيان الأشداء ، ألقى الله عليهم المهابة لا يجرؤ أحد على الاقتراب منهم .

﴿ وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَت تَّزَاوَرُ عَن كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَإِذَا غَرَبَت تَّقْرِضُهُمْ ذَاتَ الشِّمَالِ وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِّنْهُ ۚ ذَٰلِكَ مِنْ آيَاتِ اللَّهِ ۗ مَن يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ ۖ وَمَن يُضْلِلْ فَلَن تَجِدَ لَهُ وَلِيًّا مُّرْشِدًا ﴿١٧﴾ وَتَحْسَبُهُمْ أَيْقَاظًا وَهُمْ رُقُودٌ ۚ وَنُقَلِّبُهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ ۖ وَكَلْبُهُم بَاسِطٌ ذِرَاعَيْهِ بِالْوَصِيدِ ۚ لَوِ اطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلِئْتَ مِنْهُمْ رُعْبًا ﴿١٨﴾﴾ [الكهف : الآيتان ١٧، ١٨] .

وقد زعمت الإسرائيليات أن أظافرهم قد طالت ، وأن أشعارهم قد غطت أجسادهم ، وأنهم تغيروا ، وهذا كذب وافتراء ، فالله حفظ عليهم شبابهم ، ولم يأذن للأظافر أو الشعور أن تطول حتى ملابسهم لم تبل ، ثم أيقظهم الله بعد هذه السنين الطويلة ، ولو كان حدث لهم تغيير فى وجوههم أو أشعارهم أو أظافرهم لهرب كل واحد من الآخرين ، ولكنهم بعد الاستيقاظ أحسوا بالجوع ، وهم لم يصحبوا معهم طعاماً ولا شراباً ، وقد سأل واحد منهم (كم لبثوا نائمين) وكانت الإجابة (يوماً أو بعض يوم) وما دروا أن قرون مرت عليهم وطلبوا من واحد منهم أن يعود إلى المدينة ويشترى لهم طعاماً طيباً بدون مساومة مع البائع ويعود سريعاً ، ويأخذ حذره ، فربما تبعه أحد واكتشف مخبأهم عندئذ سيقبض عليهم ويجبرهم الطاغية على ترك عقيدتهم ، وهم على الحق وإذا رفضوا فسيكون عقابهم الرجم بالحجارة حتى الموت كما هو فى قانونهم .

﴿وَكَذَٰلِكَ بَعَثْنَٰهُمْ لِيَتَسَآءَلُوا۟ بَيْنَهُمْ ۚ قَالَ قَآئِلٌ مِّنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ ۖ قَالُوا۟ لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ ۚ قَالُوا۟ رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَٱبْعَثُوٓا۟ أَحَدَكُم بِوَرِقِكُمْ هَٰذِهِۦٓ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ فَلْيَنظُرْ أَيُّهَآ أَزْكَىٰ طَعَامًا فَلْيَأْتِكُم بِرِزْقٍ مِّنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا ﴿١٩﴾ إِنَّهُمْ إِن يَظْهَرُوا۟ عَلَيْكُمْ يَرْجُمُوكُمْ أَوْ يُعِيدُوكُمْ فِى مِلَّتِهِمْ وَلَن تُفْلِحُوٓا۟ إِذًا أَبَدًا ﴿٢٠﴾﴾

[الكهف : الآيتان ١٩، ٢٠] .

وطبيعى أن الفتى الذى توجه لشراء الطعام فوجئ بمدينة غير المدينة التى يعرفها جيداً ، وسكن فيها سنوات ، والملابس اختلفت والمعالم تغيرت ، ومع ذلك جاء إلى أقرب محل وطلب الطعام ، ولغته قد اختلفت أيضاً عن لغة قومه ، فعجب التاجر لهذا الغريب وملابسه العجيبة ، وظن أنه أحد الغرباء أو السياح ، ولما قدم له (العملة الفضية) التى ألغيت من مئات السنين ظن أنه عثر على كنز فسأله فقال : إنى اكتسبتها بالأمس فى هذه المدينة ، فتوجس التاجر خيفة منه وأبلغ الشرطة التى حضرت وصحبت الفتى إلى

مخفر الشرطة ، وهناك اكتشف الحقيقة ، وأن الدنيا تغيرت ، وزال الملك الطاغية ، وحل محله ملك عادل ، وأنهم انتقلوا من عبادة الأصنام إلى دين التوحيد ، وأن أجدادهم أخبروهم عن اختفاء مجموعة من الفتية فى ظروف غامضة ، ولم يعثروا لهم على أثر ، فكشف عن هويته ، وخرجت المدينة كلها لترى هؤلاء الفتية الذين بقوا أحياء لمئات السنين ، ونظروا إليهم كقديسين فروا بعقيدتهم .

ولما دخل الفتى على أصحابه وأخبرهم بما حدث طلبوا من الله أن يقبض أرواحهم فهم لن يستطيعوا العيش مع هذا الجيل وسيتحولون إلى قديسيين ، واستجاب الله لهم وقبض أرواحهم .

ولما طال غياب الفتى دخلوا عليهم الكهف فوجدوهم أمواتاً ، وكلبهم معهم فتشاوروا ماذا يصنعون بهم ؟ فريق قال : نسد عليهم باب الكهف ، والله أعلم بهم ، وقال فريق ثان : نقيم هنا مسجداً لعبادة الله ونتخذ منهم أسوة ، وغلب الرأى الثانى : ﴿وَكَذَٰلِكَ أَعْثَرْنَا عَلَيْهِمْ لِيَعْلَمُوٓاْ أَنَّ وَعْدَ ٱللَّهِ حَقٌّ وَأَنَّ ٱلسَّاعَةَ لَا رَيْبَ فِيهَآ إِذْ يَتَنَٰزَعُونَ بَيْنَهُمْ أَمْرَهُمْ فَقَالُواْ ٱبْنُواْ عَلَيْهِم بُنْيَٰنًا رَّبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ قَالَ ٱلَّذِينَ غَلَبُواْ عَلَىٰٓ أَمْرِهِمْ لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِم مَّسْجِدًا ﴿٢١﴾﴾ [الكهف : الآية ٢١] .

تعنت اليهود :

ادعى اليهود فى المدينة بعد الهجرة أنهم يعرفون أعداد أصحاب الكهف ، فريق قال : (إنهم ثلاثة والكلب هو الرابع) ، وقال فريق ثان : (إنهم كانوا خمسة والكلب هو السادس) كذباً ورجماً بالغيب ، وقال فريق ثالث : (إنهم سبعة وثامنهم كلبهم) لكن الله هو أعلم بهم وبأعدادهم ، وقد أخبر نبيه ويعلم ذلك قلة من الصحابة من أمثال عبد الله ابن عباس رضى الله عنهما : ﴿سَيَقُولُونَ ثَلَٰثَةٌ رَّابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ رَجْمًۢا بِٱلْغَيْبِ وَيَقُولُونَ سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ قُل

﴿رَبِّىٓ أَعْلَمُ بِعِدَّتِهِم مَّا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ فَلَا تُمَارِ فِيهِمْ إِلَّا مِرَآءً ظَٰهِرًا وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِم مِّنْهُمْ أَحَدًا ﴿٢٢﴾﴾ [الكهف : الآية ٢٢] .

وتعنت اليهود أكثر فادعوا أنهم يعرفون المدة التى نامها أصحاب الكهف ، ولكن الله أخزاهم وبين أنه وحده الذى يعلم ذلك ، وادعوا أنهم ناموا ثلاثمائة عام وازدادوا تسعاً ، وهى الفارق بين التقويم الميلادى والتقويم الهجرى ، وكل ذلك رجم بالغيب ، وسجل القرآن الكريم هذا الموقف ، وأكد أنه وحده عالم الغيب : ﴿وَلَبِثُوا۟ فِى كَهْفِهِمْ ثَلَٰثَ مِا۟ئَةٍ سِنِينَ وَٱزْدَادُوا۟ تِسْعًا ﴿٢٥﴾ قُلِ ٱللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا۟ ۖ لَهُۥ غَيْبُ ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ ۖ أَبْصِرْ بِهِۦ وَأَسْمِعْ ۚ مَا لَهُم مِّن دُونِهِۦ مِن وَلِىٍّ وَلَا يُشْرِكُ فِى حُكْمِهِۦٓ أَحَدًا ﴿٢٦﴾﴾ [الكهف : الآيتان ٢٥، ٢٦] .

قصة العالم الكلب :

العلماء صنفان : صنف أخلص الدعوة لله واتقاه ، وحرص على هدى الناس ، وهم الذين كرمهم الله وقرنهم معه فى الشهادة بوحدانيته : ﴿شَهِدَ ٱللَّهُ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ وَٱلْمَلَٰٓئِكَةُ وَأُو۟لُوا۟ ٱلْعِلْمِ قَآئِمًۢا بِٱلْقِسْطِ ۚ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْحَكِيمُ ﴿١٨﴾﴾ [آل عمران : الآية ١٨] .

هم الذين يخافون مقام ربهم ويكون هواهم مع الله ﴿وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِۦ وَنَهَى ٱلنَّفْسَ عَنِ ٱلْهَوَىٰ ﴿٤٠﴾ فَإِنَّ ٱلْجَنَّةَ هِىَ ٱلْمَأْوَىٰ ﴿٤١﴾﴾ .
[النازعات : الآيتان ٤٠، ٤١]

وهناك صنف من العلماء آثروا الدنيا على الآخرة والماديات على الروحانيات ، وتاجروا فى الدين ، واشتروا بآيات الله ثمناً قليلاً ، وأولوا القرآن على غير وجهه ، وبلبلوا الأفكار ، وشككوا فى العقيدة إنهم (خطباء الفتنة) الذين رآهم النبى ﷺ ليلة الإسراء والمعراج (تقرض ألسنتهم وشفاههم بمقاريض من نار) هم الذين تخالف أقوالهم أفعالهم ، ويخالف

ظاهرهم باطنهم ، والله قال فيهم : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ لِمَ تَقُولُونَ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٢ كَبُرَ مَقۡتًا عِندَ ٱللَّهِ أَن تَقُولُواْ مَا لَا تَفۡعَلُونَ ۝٣﴾ [الصَّف : الآيتان ٢، ٣] .

وكان فى بنى إسرائيل عالم كبير استوعب الشريعة وحفظ التوراة ، وصار أعلم أهل عصره ، فأخذه الغرور ، وتسلط عليه الشيطان ، فخرج على منهج الله وفسر النصوص بهواه ، وتاجر فى الدين ، فكثر ماله ، فتحول كالكلب الخسيس يتكلم بمناسبة وبلا مناسبة ، ويخدع الناس بمعسول القول ، فشبهه الله بالكلب الذى يخرج لسانه سواء كان راقداً أو عند إثارة أحد له ، والكلب معذور لأن جهازه التنفسى ضيق ، فهو يتنفس من الفم ، وذم الله هذا العالم وكان يدعى (بلعام) .

﴿وَٱتۡلُ عَلَيۡهِمۡ نَبَأَ ٱلَّذِيٓ ءَاتَيۡنَٰهُ ءَايَٰتِنَا فَٱنسَلَخَ مِنۡهَا فَأَتۡبَعَهُ ٱلشَّيۡطَٰنُ فَكَانَ مِنَ ٱلۡغَاوِينَ ۝١٧٥ وَلَوۡ شِئۡنَا لَرَفَعۡنَٰهُ بِهَا وَلَٰكِنَّهُۥٓ أَخۡلَدَ إِلَى ٱلۡأَرۡضِ وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُۚ فَمَثَلُهُۥ كَمَثَلِ ٱلۡكَلۡبِ إِن تَحۡمِلۡ عَلَيۡهِ يَلۡهَثۡ أَوۡ تَتۡرُكۡهُ يَلۡهَثۚ ذَّٰلِكَ مَثَلُ ٱلۡقَوۡمِ ٱلَّذِينَ كَذَّبُواْ بِـَٔايَٰتِنَاۚ فَٱقۡصُصِ ٱلۡقَصَصَ لَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ۝١٧٦﴾ [الأعراف : الآيتان ١٧٥، ١٧٦] .

* * *

١٣ - الهدهد



الطيران عملية من أغرب العمليات فى الطيور ، وتخضع قوة الطائر لقوة أجنحته وعضلاته ، والطيور نحو عشرة آلاف صنف ، والطيور استخدمت فى نقل الرسائل فى العصور القديمة ، بل وفى الحروب الحديثة (الحمام الزاجل) وكانت تركب فى أجنحتها كاميرات تلتقط مواقع العدو .

الطيور منها المهاجر الذى يقطع مسافات كبيرة للتزاوج ، والطيور منها الجارحة الوحشية (كالنسور والصقور) ، ومنها الوديعة (كالحمام والعصافير) ومنها الذى لا يطير (كالنعام) لثقل جسمها .

والطيور تهتم بأعشاشها ، ومنها ما يبطن عشه بالقطن ، ويهتم بإغلاق العش حتى لا تتسرب إليه الثعابين ، وتعبث بالبيض وتلتهم الصغار ، والطيور تعيش حياة جماعية فى أسراب و، ولها قائد يقودها ، ولغة تتفاهم بها ، ويتناوب الذكر مع الأنثى فى إحتضان البيض .

وعرفت (الغربان) المحاكم قبل الإنسان وأصدروا الحكم على قدر التهمة بهدم العش أو نتف ريش الطائر أو نفيه من الجماعة أو الحكم عليه بالموت .

(والخفاش) رغم شدة الظلام يعرف طريقه فهو حيوان ليلى ، يسرح ليلاً لإلتقاط فرائسه ، ويختفى نهاراً لأن شعاع الشمس يؤذى عينيه ، ومن (الخفاش) عرف الإنسان (الرادار) لأن الخفاش لا يصطدم بأى جسم ولو كان فى مساحة ضيقة لأنه يخرج من الجسم المقابل إشعاع يتفاداه .

وبعض الطيور عرفت (الاحتلال) تنتظر حتى تبنى الطيور عشها ، ثم تقوم باحتلاله واستخدام منقارها وأظافرها فى المقاومة ، وهذا معروف عن طائر يسمى (كوكو) ويوجد بالجزر البريطانية ، ومنه تعلم الإنجليز الاحتلال .

وتهتم الطيور بالأمور الصحية وإبعاد الفضلات عن العش .

ومن الطيور ما يساعد الفلاح فى التقاط الديدان التى تضر بالزرع (كأبى قردان) (والهدهد) .

والطيور وهى تنطلق فى الفضاء تعبد الله وتسبح بحمد الله ، وتؤدى صلوات ﴿أَلَمْ تَرَ أَنَّ ٱللَّهَ يُسَبِّحُ لَهُۥ مَن فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَٱلطَّيْرُ صَٰٓفَّٰتٍ ۖ كُلٌّ قَدْ عَلِمَ صَلَاتَهُۥ وَتَسْبِيحَهُۥ ۗ وَٱللَّهُ عَلِيمٌۢ بِمَا يَفْعَلُونَ ﴿٤١﴾﴾ [النور : الآية ٤١] .

وهى تدل على إعجاز الله الذى يطلقها فى الفضاء فلا تقع ، وتتحرك يمنة ويسرة ، وترتفع وتنخفض حسب الموقف ، ومنها تعلمنا (الطيران) ﴿أَلَمْ يَرَوْا۟ إِلَى ٱلطَّيْرِ مُسَخَّرَٰتٍ فِى جَوِّ ٱلسَّمَآءِ مَا يُمْسِكُهُنَّ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَٰتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ ﴿٧٩﴾﴾ [النحل : الآية ٧٩] .

وللطير عادات وتقاليد وهى تمثل أمة تتفاهم بلغتها : ﴿وَمَا مِن دَآبَّةٍ فِى ٱلْأَرْضِ وَلَا طَٰٓئِرٍ يَطِيرُ بِجَنَاحَيْهِ إِلَّآ أُمَمٌ أَمْثَالُكُم ۚ مَّا فَرَّطْنَا فِى ٱلْكِتَٰبِ مِن شَىْءٍ ۚ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يُحْشَرُونَ ﴿٣٨﴾﴾ [الأنعام : الآية ٣٨] .

والطيور كانت تشارك داود عليه السلام فى عبادته وتأوى إليه تسبح معه بحمد الله ﴿إِنَّا سَخَّرْنَا ٱلْجِبَالَ مَعَهُۥ يُسَبِّحْنَ بِٱلْعَشِىِّ وَٱلْإِشْرَاقِ ﴿١٨﴾ وَٱلطَّيْرَ مَحْشُورَةً ۖ كُلٌّ لَّهُۥٓ أَوَّابٌ ﴿١٩﴾﴾ [ص : الآيتان ١٨، ١٩] .

وكانت الطيور من جنود سليمان الذى آتاه الله ملكاً عظيماً ، وأخضع له الجن والإنس ، والطير والريح : ﴿وَحُشِرَ لِسُلَيْمَٰنَ جُنُودُهُۥ مِنَ ٱلْجِنِّ وَٱلْإِنسِ وَٱلطَّيْرِ فَهُمْ يُوزَعُونَ ۝١٧﴾ [النمل : الآية ١٧] .

وكانت الطيور من معجزات سيدنا عيسى ، فقد كان يأخذ قطعة من الصلصال الذى تصنع به التماثيل ، ويشكلها على هيئة طائر ، ثم ينفخ فيها فتكون طيراً بإذن الله ، إضافة إلى المعجزات الأخرى : ﴿وَرَسُولًا إِلَىٰ بَنِىٓ إِسْرَٰٓءِيلَ أَنِّى قَدْ جِئْتُكُم بِـَٔايَةٍ مِّن رَّبِّكُمْ ۖ أَنِّىٓ أَخْلُقُ لَكُم مِّنَ ٱلطِّينِ كَهَيْـَٔةِ ٱلطَّيْرِ فَأَنفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًۢا بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُبْرِئُ ٱلْأَكْمَهَ وَٱلْأَبْرَصَ وَأُحْىِ ٱلْمَوْتَىٰ بِإِذْنِ ٱللَّهِ ۖ وَأُنَبِّئُكُم بِمَا تَأْكُلُونَ وَمَا تَدَّخِرُونَ فِى بُيُوتِكُمْ ۚ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَـَٔايَةً لَّكُمْ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ۝٤٩﴾ [آل عمران : الآية ٤٩] .

والطيور إذا كانت تتخطف فرائسها فى الجو فإن المشرك يشبه من هوى من مكان مرتفع فتخطفته الطير ومزقته : ﴿حُنَفَآءَ لِلَّهِ غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِۦ ۚ وَمَن يُشْرِكْ بِٱللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ مِنَ ٱلسَّمَآءِ فَتَخْطَفُهُ ٱلطَّيْرُ أَوْ تَهْوِى بِهِ ٱلرِّيحُ فِى مَكَانٍ سَحِيقٍ ۝٣١﴾ [الحج : الآية ٣١] .

وجاءت الطير فى رؤيا أحد صاحبى يوسف عليه السلام فى السجن ، وكان أحدهما ساقى الملك ، وكان الثانى خباز الملك ، واتهما بوضع السم للملك ، وكان الخباز هو الجانى فرأى كل منهما رؤيا الساقى ، رأى أنه يعود لمنصبه ويصب للملك خمره ، والخباز رأى أنه مصلوب وعلى رأسه خبز تأكل الطير منه ، وفسر يوسف رؤيا كل منهما فبشر الساقى بالعودة لمنصبه والخباز سيقبض عليه ، ويصلب حتى تأتى الطير وتنقر رأسه ، وحدث هذا : ﴿وَدَخَلَ مَعَهُ ٱلسِّجْنَ فَتَيَانِ ۖ قَالَ أَحَدُهُمَآ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَعْصِرُ خَمْرًا ۖ وَقَالَ ٱلْـَٔاخَرُ إِنِّىٓ أَرَىٰنِىٓ أَحْمِلُ فَوْقَ رَأْسِى خُبْزًا تَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِنْهُ ۖ نَبِّئْنَا بِتَأْوِيلِهِۦٓ ۖ إِنَّا نَرَىٰكَ مِنَ ٱلْمُحْسِنِينَ ۝٣٦﴾ [يوسف : الآية ٣٦] .

وفسر يوسف الرؤيا بنفس الألفاظ : ﴿يَٰصَىٰحِبَىِ ٱلسِّجْنِ أَمَّآ أَحَدُكُمَا

﴿فَيَسْقِي رَبَّهُۥ خَمْرًا ۖ وَأَمَّا ٱلْءَاخَرُ فَيُصْلَبُ فَتَأْكُلُ ٱلطَّيْرُ مِن رَّأْسِهِۦ ۚ قُضِىَ ٱلْأَمْرُ ٱلَّذِى فِيهِ تَسْتَفْتِيَانِ ﴿٤١﴾﴾ [يوسف: الآية ٤١] .

والطير ساقه الله لبنى إسرائيل لما عبر بهم موسى البحر وطلبوا الطعام ، فأنزل الله طيوراً تأتيهم من مسافات بعيدة مرهقة مثل (السمان الذى يحط فى منطقة رأس البر) بعد أن عبر البحر من مسافات بعيدة ، فجمع بنو إسرائيل المن ويأخذون ما يكفيهم من الطيور ، وإذا حاولوا أخذ أكثر من حاجتهم تعفن : ﴿وَظَلَّلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْغَمَامَ وَأَنزَلْنَا عَلَيْكُمُ ٱلْمَنَّ وَٱلسَّلْوَىٰ ۖ كُلُوا۟ مِن طَيِّبَٰتِ مَا رَزَقْنَٰكُمْ ۖ وَمَا ظَلَمُونَا وَلَٰكِن كَانُوٓا۟ أَنفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ ﴿٥٧﴾﴾ [البقرة: الآية ٥٧] .

ولحوم الطير اختارها المولى لأهل الجنة ، لأن لحوم الطير أخف اللحوم وأجملها : ﴿وَلَحْمِ طَيْرٍ مِّمَّا يَشْتَهُونَ ﴿٢١﴾﴾ [الواقعة: الآية ٢١] .

قصة سيدنا سليمان والهدهد :

الهدهد طائر صغير الجحم ، جميل الشكل والألوان ، يشعر بوجود الماء تحت طبقات الأرض ، ولهذا كان سليمان يصطحبه لكشف الماء وسقيا الجيش ، وهو ذو وفاء ، عطوف إذا شاخ أبواه ، حمل لهما الطعام ، وجعل يزقهما كما يفعل مع صغاره ، وإذا غابت أنثاه انقطع عن الطعام وظل حزيناً حتى تعود أو يموت جوعاً ، ويظل يصيح بصوت مؤثر .

كان سيدنا سليمان عليه السلام يستعرض جنوده ، ويطمئن على أحوالهم ، ونظامهم ، ويعاقب من يقصر منهم (وكان من جنوده الإنس والجن والطير والريح) .

وذات يوم تفقد الجنود فوجد مكان الهدهد خالياً ، فسأل عنه هل اعتذر؟ هل هو مريض ؟ أم أنه لا يراه لصغر حجمه ، وتأكد له أنه غائب بدون عذر ، فتوعده بالعقاب المناسب حسب تقصيره ﴿وَتَفَقَّدَ ٱلطَّيْرَ فَقَالَ

مَالِيَ لَآ أَرَى ٱلْهُدْهُدَ أَمْ كَانَ مِنَ ٱلْغَآئِبِينَ ﴿٢٠﴾ لَأُعَذِّبَنَّهُۥ عَذَابًا شَدِيدًا أَوْ لَأَاْذْبَحَنَّهُۥٓ أَوْ لَيَأْتِيَنِّى بِسُلْطَٰنٍ مُّبِينٍ ﴿٢١﴾ ﴾ [النمل: الآيتان ٢٠، ٢١] .

وقد سأل البعض سليمان عليه السلام (عرفنا العذر أو الذبح فما العذاب الشديد؟) ، قال : (أضعه بين قوم لا يعرفون قدره) ، وربما قصد بالعذاب الشديد نتف ريشه وإبطال حركته) .

ولم يمض قليل حتى وصل الهدهد ، ولم يعتذر ، وإنما أخبر سليمان عليه السلام عن أمر خطير ، أنه طار إلى اليمن ورأى مملكة عظيمة (هى مملكة سبأ) عليها امرأة ملكة قوية غنية متحكمة فى شعبها ، وتجلس على عرش غاية فى الروعة ، لكن الذى حز فى نفس الهدهد أنه وجدها وقومها يسجدون للشمس من دون الله ، ولا يكون السجود إلا لله الذى يخرج المخبوء من الأرض زرعاً ، أو معادن أو غير ذلك ، وأنه صاحب العرش العظيم .

﴿فَمَكَثَ غَيْرَ بَعِيدٍ فَقَالَ أَحَطتُ بِمَا لَمْ تُحِطْ بِهِۦ وَجِئْتُكَ مِن سَبَإٍۭ بِنَبَإٍ يَقِينٍ ﴿٢٢﴾ إِنِّى وَجَدتُّ ٱمْرَأَةً تَمْلِكُهُمْ وَأُوتِيَتْ مِن كُلِّ شَىْءٍ وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ ﴿٢٣﴾ وَجَدتُّهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِن دُونِ ٱللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ ٱلشَّيْطَٰنُ أَعْمَٰلَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ ٱلسَّبِيلِ فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ ﴿٢٤﴾ أَلَّا يَسْجُدُوا۟ لِلَّهِ ٱلَّذِى يُخْرِجُ ٱلْخَبْءَ فِى ٱلسَّمَٰوَٰتِ وَٱلْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ وَمَا تُعْلِنُونَ ﴿٢٥﴾ ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ ٱلْعَرْشِ ٱلْعَظِيمِ ۩ ﴿٢٦﴾ ﴾ [النمل: الآيات ٢٢- ٢٦] .

ولم يرفض سليمان القصة إلا ببينة ، ورأى أن يرسل الهدهد فى مهمة عاجلة برسالة موجزة صغيرة يحملها فى مخالبه ، ويلقى بها بين يدى الملكة ليثبت براءته ، وليخدم مليكه وعقيدته ، وهو يعطيه فرصة عظيمة ﴿ قَالَ سَنَنظُرُ أَصَدَقْتَ أَمْ كُنتَ مِنَ ٱلْكَٰذِبِينَ ﴿٢٧﴾ ٱذْهَب بِّكِتَٰبِى هَٰذَا فَأَلْقِهْ إِلَيْهِمْ ثُمَّ تَوَلَّ عَنْهُمْ فَٱنظُرْ مَاذَا يَرْجِعُونَ ﴿٢٨﴾ ﴾ [النمل: الآيتان ٢٧، ٢٨] .

وحمل الهدهد الرسالة واجتاز كل الحواجز والحراسة ودخل على الملكة

فى مخدعها ، وألقى بالرسالة ، وتعمد أن يأتى عند شروق الشمس وهى تستعد للسجود للشمس حينما ترسل أشعتها من نافذتها فسد عليها قرص الشمس ، وأعجبت الملكة بالرسالة الرقيقة المهذبة الجادة ، كما أعجبت بحامل الرسالة وهو هذا الطائر الصغير ، وعرضت الرسالة على مستشاريها ، وكعادة الحاشية أبدوا استعدادهم لقتال سليمان ، وأنهم على أتم استعداد ، لكنهم يرجعون الأمر إليها ، وبحكمة المرأة وهى تعلم أن الحرب دمار ، وأن سليمان ليس بالرجل الهين الذى يستخدم مثل هذه الطيور الصغيرة فى حمل رسائله ، فاستبعدت ناحية الحرب : ﴿قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ إِنِّىٓ أُلْقِىَ إِلَىَّ كِتَٰبٌ كَرِيمٌ ﴿٢٩﴾ إِنَّهُۥ مِن سُلَيْمَٰنَ وَإِنَّهُۥ بِسْمِ ٱللَّهِ ٱلرَّحْمَٰنِ ٱلرَّحِيمِ ﴿٣٠﴾ أَلَّا تَعْلُوا۟ عَلَىَّ وَأْتُونِى مُسْلِمِينَ ﴿٣١﴾ قَالَتْ يَٰٓأَيُّهَا ٱلْمَلَؤُا۟ أَفْتُونِى فِىٓ أَمْرِى مَا كُنتُ قَاطِعَةً أَمْرًا حَتَّىٰ تَشْهَدُونِ ﴿٣٢﴾ قَالُوا۟ نَحْنُ أُو۟لُوا۟ قُوَّةٍ وَأُو۟لُوا۟ بَأْسٍ شَدِيدٍ وَٱلْأَمْرُ إِلَيْكِ فَٱنظُرِى مَاذَا تَأْمُرِينَ ﴿٣٣﴾ قَالَتْ إِنَّ ٱلْمُلُوكَ إِذَا دَخَلُوا۟ قَرْيَةً أَفْسَدُوهَا وَجَعَلُوٓا۟ أَعِزَّةَ أَهْلِهَآ أَذِلَّةً ۖ وَكَذَٰلِكَ يَفْعَلُونَ ﴿٣٤﴾﴾ [النمل : الآيات ٢٩- ٣٤] .

فكانت أرشد من كثير من الزعماء الذين دمروا شعوبهم بغطرستهم مثل (صدام حسين، وسفاح الصرب ، ومريض روسيا الذى حارب الشيشان) .

وبأسلوب الأنثى رأت اختباره ترسل له هدية فإن قبلها فهو رجل دنيا ، وإن رفضها فهو رجل مبادئ لابد من مسالمته ورفض سليمان الهدية فقد آتاه الله ما لم يؤت لأحد، وعزم على حربها إذا لم تأت خاضعة مستسلمة ، وتراجعت الملكة وعزمت على السير لسليمان تمد يد السلام ، وتدخل فى الإسلام : ﴿وَإِنِّى مُرْسِلَةٌ إِلَيْهِم بِهَدِيَّةٍ فَنَاظِرَةٌۢ بِمَ يَرْجِعُ ٱلْمُرْسَلُونَ ﴿٣٥﴾ فَلَمَّا جَآءَ سُلَيْمَٰنَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَآ ءَاتَىٰنِۦَ ٱللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّآ ءَاتَىٰكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ ﴿٣٦﴾ ٱرْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُم بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَآ أَذِلَّةً وَهُمْ صَٰغِرُونَ ﴿٣٧﴾﴾ [النمل : الآيات ٣٥- ٣٧] .

كان الهدهد فى كل هذا هو الرسول بين سيدنا سليمان وملكة سبأ ، وعاد وأخبر سليمان أنها فى الطريق إليه .

وأراد سليمان عليه السلام أن يهزها بآية من آيات الله يفاجئها بعرشها عنده ، والعرش وسط حراسة مشددة ، ويحتاج فكه ونقله على البغال شهوراً ، وعرض سليمان الأمر على حاشيته ، فتطوع (عفريت من الجن) أن يأتى بالعرش فى بضع ساعات هى التى يقضيها سليمان فى الحكم بين الناس ، ووعده بأن ينقله سالماً ولا يأخذ منه شيئاً ، وهو مرصع بالجواهر واليواقيت : ﴿قَالَ عِفْرِيتٌ مِّنَ ٱلْجِنِّ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن تَقُومَ مِن مَّقَامِكَ ۖ وَإِنِّى عَلَيْهِ لَقَوِىٌّ أَمِينٌ ﴿٣٩﴾﴾ [النمل : الآية ٣٩] .

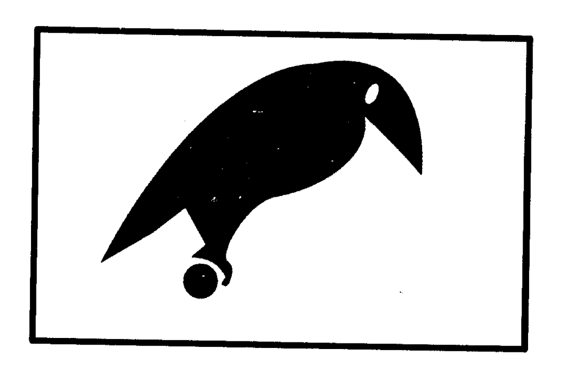
لكن سليمان عليه السلام رفض العرض ، لأن الملكة على أبواب المدينة ، وستدخلها بعد قليل ، ويريد وقتاً أسرع ، فتقدم عبد من عباد الله الصالحين يعرف (اسم الله الأعظم الذى إذا دعى به أجيب ، وإذا سئل به أعطى) وأخبر سليمان أن العرش سيكون بين يديه الآن ، وقبل أن يتم كلامه كان العرش بين يدى سليمان .

وشكر سليمان ربه على نعمه وعظيم فضله ، ولم يأخذه الغرور : ﴿قَالَ ٱلَّذِى عِندَهُۥ عِلْمٌ مِّنَ ٱلْكِتَٰبِ أَنَا۠ ءَاتِيكَ بِهِۦ قَبْلَ أَن يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ ۚ فَلَمَّا رَءَاهُ مُسْتَقِرًّا عِندَهُۥ قَالَ هَٰذَا مِن فَضْلِ رَبِّى لِيَبْلُوَنِىٓ ءَأَشْكُرُ أَمْ أَكْفُرُ ۖ وَمَن شَكَرَ فَإِنَّمَا يَشْكُرُ لِنَفْسِهِۦ ۖ وَمَن كَفَرَ فَإِنَّ رَبِّى غَنِىٌّ كَرِيمٌ ﴿٤٠﴾﴾ [النمل : الآية ٤٠] .

وأمر سليمان بتغيير بعض الملامح فى العرش ليختبر عقلها ، ولما رأت العرش قالت بدبلوماسية (كأنه هو) وعلمت أن العرش نقل فى أقل من لمح البصر ، فاستسلمت وأسلمت مع سليمان لله رب العالمين .

* * *

١٤ - الغــراب



كما سبق وأن أشرنا إلى أن للطيور فضلاً على الإنسان ، منها تعلم (الطيران) ، (واختراع الرادر) وتعلم منها (الهندسة المتقدمة) .

وها هو الغراب رغم نفور الإنسان (من شكله الأسود ، ونعيق صوته) فإنه كان المعلم الأول للإنسان (علمه كيف يدفن الميت) ولو تصورنا أن الإنسان ما اهتدى لعملية الدفن ماذا كان يحدث للجثث وكيف تتعفن وتحدث رائحة كريهة ، وتسبب الأمراض .

أنجب سيدنا (آدم) ذكراً وأنثى فى بطن ، ثم ذكراً وأنثى فى بطن ، وكان لابد وأن يتزوج الإخوة للضرورة لتمتد البشرية ، لكنه أراد أن يبتعد الأخوة فلا يتزوج الأخ التوأم ، وإنما يبتعد حتى يأتى وقت يتزوج الإنسان غير قريبة له .

كانت البنت الأولى مع (هابيل) الابن الأول ، ولم تكن على جمال ، وكانت البنت الثانية مع (قابيل) وكانت غاية فى الجمال ، ورفض (قابيل) أن يتزوج (هابيل) أخته الجميلة ، فهو أحق بها ، ونصحهما الأب أن يتقدما

بقربان لله فمن تقبل الله قربانه كان صاحب (البنت الجميلة) .

وتقدم (هابيل) الصالح بأجود ما عنده ، فقدم بكبش عظيم ، واستهان (قابيل) الشرير ، وقدم بعض المرعى الخبيثة ، فتقبل الله من (هابيل) وكانت علامة القبول أن تنزل نار من السماء فتحرق القربان ، ورفض الله قربان هابيل فهدده أخاه بالقتل ، ورد هابيل التقى ما ذنبى الله يتقبل من المتقين ، وكأنه ينصحه أن يراجع موقفه ويصحح أوضاعه لعل الله يقبل منه بعد ذلك .

وكان هابيل أقوى من قابيل ، ومع ذلك قال له إذا حاولت إيذائى فلن تمتد يدى إليك بأذى ، فإنى أخاف الله ، وإذا آذيتنى ستتحمل ذنبى : ﴿ وَٱتْلُ عَلَيْهِمْ نَبَأَ ٱبْنَىْ ءَادَمَ بِٱلْحَقِّ إِذْ قَرَّبَا قُرْبَانًا فَتُقُبِّلَ مِنْ أَحَدِهِمَا وَلَمْ يُتَقَبَّلْ مِنَ ٱلْءَاخَرِ قَالَ لَأَقْتُلَنَّكَ ۖ قَالَ إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ﴿٢٧﴾ لَئِنۢ بَسَطتَ إِلَىَّ يَدَكَ لِتَقْتُلَنِى مَآ أَنَا۠ بِبَاسِطٍ يَدِىَ إِلَيْكَ لِأَقْتُلَكَ ۖ إِنِّىٓ أَخَافُ ٱللَّهَ رَبَّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿٢٨﴾ إِنِّىٓ أُرِيدُ أَن تَبُوٓأَ بِإِثْمِى وَإِثْمِكَ فَتَكُونَ مِنْ أَصْحَٰبِ ٱلنَّارِ ۚ وَذَٰلِكَ جَزَٰٓؤُا۟ ٱلظَّٰلِمِينَ ﴿٢٩﴾ ﴾ [المائدة : الآيات ٢٧ - ٢٩] .

ومعنى ذلك أن آدم عليه السلام وذريته عرفوا التشريع والجنة والنار .

وتسلط الشيطان على (قابيل) وأغراه بقتل أخيه وهون عليه الأمر ليخلو له الجو ، ويفوز بالأخت الجميلة ، ووسوس الشيطان للنفس فأمرت قابيل بالقتل ، وألهمه الشيطان أن ينتهز فرصة نوم هابيل ويلقى على رأسه صخرة فيقتله ، ومعنى ذلك أن الإقدام على القتل صعب دون الكبائر : ﴿فَطَوَّعَتْ لَهُۥ نَفْسُهُۥ قَتْلَ أَخِيهِ فَقَتَلَهُۥ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلْخَٰسِرِينَ ﴿٣٠﴾ ﴾ [المائدة : الآية ٣٠] .

كما يطوع الحديد فى النار ، ويدق عليه لتصنع منه شيئاً .

وخسر قابيل دينه وأهله وأخاه ونفسه خسر كل شىء ، ونادى قابيل على هابيل فلم يرد عليه بحركة ، فلا يتحرك واحتار ماذا يصنع به ، وهنا تدخلت العناية الإلهية التى أرادت أن تستر سوأة هابيل (فالميت يستحق

الدفن) ولهذا قال المولى : ﴿قُتِلَ ٱلْإِنسَٰنُ مَآ أَكْفَرَهُۥ ﴿١٧﴾ مِنْ أَيِّ شَىْءٍ خَلَقَهُۥ ﴿١٨﴾ مِن نُّطْفَةٍ خَلَقَهُۥ فَقَدَّرَهُۥ ﴿١٩﴾ ثُمَّ ٱلسَّبِيلَ يَسَّرَهُۥ ﴿٢٠﴾ ثُمَّ أَمَاتَهُۥ فَأَقْبَرَهُۥ ﴿٢١﴾ ثُمَّ إِذَا شَآءَ أَنشَرَهُۥ ﴿٢٢﴾﴾ [عبس : الآيات ١٧ - ٢٢] إيجاز لرحلة الإنسان منذ كان فى بطن أمه إلى أن يبعث يوم يقوم الناس لرب العالمين .

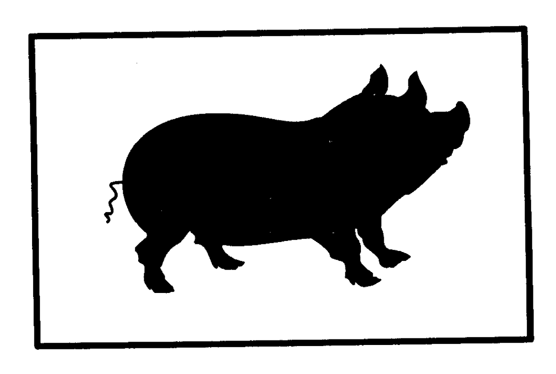
أرسل الله غراباً أمام قابيل فنقر فى الأرض ، والإنسان يستفيد بكل معلومة فتنبه قابيل أنه يستطيع أن يحفر فى الأرض ، ويوارى جثة أخيه ، وقبل جاء غرابان فتقاتلا فقتل أحدهما الآخر ، ثم حفر حفرة وألقى بجثة الغراب المقتول وأهال عليه التراب ، وهكذا أخفاه .

وأحس قابيل بالخزى ، وأنه أحقر من هذا الغراب ، وقام بحفر حفرة عميقة ووارى أخاه ، وظل نادماً طوال حياته ﴿فَبَعَثَ ٱللَّهُ غُرَابًا يَبْحَثُ فِى ٱلْأَرْضِ لِيُرِيَهُۥ كَيْفَ يُوَٰرِى سَوْءَةَ أَخِيهِ ۚ قَالَ يَٰوَيْلَتَىٰٓ أَعَجَزْتُ أَنْ أَكُونَ مِثْلَ هَٰذَا ٱلْغُرَابِ فَأُوَٰرِىَ سَوْءَةَ أَخِى ۖ فَأَصْبَحَ مِنَ ٱلنَّٰدِمِينَ ﴿٣١﴾﴾ [المائدة : الآية ٣١] .

ويتحمل قابيل تبعة كل قتيل يقتل بعد ذلك ، لأنه أول من سن القتل ، يقول عليه الصلاة والسلام : « **ما قتلت نفس ظلماً إلا كان على ابن آدم الأول كفل من دمها لأنه كان أول من سن القتل** » .

* * *

١٥ - الخنـزير



حيوان خسيس الطبع ، دنيء الصفات ، يعيش على الأوساخ والقاذورات ، ويمتلئ بالشحم ، وفيه ديدان قاتلة إذا نالت الإنسان أهلكته .

ولهذا حرم الله لحم الميتة لأن الحيوان إذا مات رتعت فيه الجراثيم والميكروبات ، وحرم أيضاً لحم الخنزير لوجود هذه الديدان الخطيرة ، ولأن الخنزير به صفات خسيسة فهو الحيوان الذى لا يغار على أُنثاه ، وإذا أتى الذكر ليقرب أنثاه يساعده فى عملية الجماع .

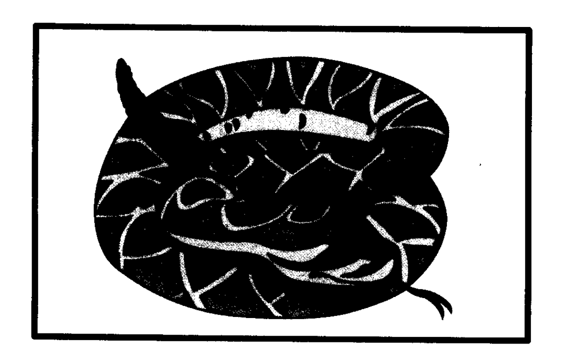
وما حرم الله على الإنسان إلا كل ما يضر بنفسه أو عقله أو أخلاقه أو مجتمعه أو عقيدته ، فهناك محرمات إذا ما تأملنا فيها نجد أن الله أنقذنا منها ﴿حُرِّمَتْ عَلَيْكُمُ ٱلْمَيْتَةُ وَٱلدَّمُ وَلَحْمُ ٱلْخِنزِيرِ وَمَآ أُهِلَّ لِغَيْرِ ٱللَّهِ بِهِۦ وَٱلْمُنْخَنِقَةُ وَٱلْمَوْقُوذَةُ وَٱلْمُتَرَدِّيَةُ وَٱلنَّطِيحَةُ وَمَآ أَكَلَ ٱلسَّبُعُ إِلَّا مَا ذَكَّيْتُمْ وَمَا ذُبِحَ عَلَى ٱلنُّصُبِ وَأَن تَسْتَقْسِمُوا۟ بِٱلْأَزْلَٰمِ ۚ ذَٰلِكُمْ فِسْقٌ ۗ ٱلْيَوْمَ يَئِسَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ مِن دِينِكُمْ فَلَا تَخْشَوْهُمْ وَٱخْشَوْنِ ۚ ٱلْيَوْمَ أَكْمَلْتُ لَكُمْ دِينَكُمْ وَأَتْمَمْتُ عَلَيْكُمْ نِعْمَتِى وَرَضِيتُ لَكُمُ ٱلْإِسْلَٰمَ دِينًا ۚ فَمَنِ ٱضْطُرَّ فِى مَخْمَصَةٍ غَيْرَ مُتَجَانِفٍ لِّإِثْمٍ ۙ فَإِنَّ

ٱللَّهَ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٣﴾ [المائدة : الآية ٣] .

وإذا كان الله قد حرم الميتة (فقد حرم الحيوان الذى يموت خنقاً أو الذى يموت ضرباً أو الذى يلقى من مكان مرتفع) كما حرم الله الحيوان الذى افترسه الوحش ، فإن بقيت فيه حياة يستبعد الجزء الذى نهشه السبع ويؤكل الباقى ، ويحرم الحيوان الذى ذبح لغير الله ، كأن تقول : (نذرت هذا للسيد البدوى) فإن كان القصد (السيد البدوى) فهو حرام ، وأحل الله أكل الميتة عند الضرورة القصوى مثل وقت المجاعة ، ولا يوجد إلا الميتة فإن الله يعفو حتى تنجلى الغمة .

* * *

١٦ - الثعبان



من الزواحف الخطيرة ، يزحف على بطنه كما قال المولى ﴿وَٱللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَآبَّةٍ مِّن مَّآءٍ فَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ بَطْنِهِۦ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰ رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِى عَلَىٰٓ أَرْبَعٍ يَخْلُقُ ٱللَّهُ مَا يَشَآءُ إِنَّ ٱللَّهَ عَلَىٰ كُلِّ شَىْءٍ قَدِيرٌ ﴿٤٥﴾﴾ [النّور: الآية ٤٥] .

والثعابين منها السام القاتلة (كالكوبرا) ومنها (غير السامة) ، منها ذات الأحجام الصغيرة ، وأغلبها سامة ، ومنها ذات الأحجام الكبيرة تستطيع أن تبتلع خروفاً ، وتعتمد على الالتفاف حول جسم الفريسة وعصرها حتى تصفى دمها ، ثم تبدأ فى ابتلاعها .

ومنها (ثعابين الغابة) العملاقة التى تعيش على الأشجار ، ومنها (الثعابين الصحراوية) التى تختفى فى الرمال ، ومنها (ثعابين الماء) وهذه منها السام ، ومنها غير السام الذى يمكن للإنسان أكله ، والثعبان يرقص على صوت الموسيقى ، وللثعبان عينان خطيرتان ينظر بهما إلى الفريسة ، فيشل حركتها قبل افتراسها ، وللثعابين أسماء متعددة ، منها : (الأصلة)

(ذات الأجراس) ، والله هدد من يمتنع عن أداء الزكاة والإنفاق فى سبيل الله بثعبان ضخم ينتظره عند دخول القبر ، ثم يهشمه .

والثعابين أقدر الحيوانات على بث الفزع فى قلوب الناس ، لأنها تحمل سموماً فتاكة ، والثعابين السامة تعرف بضخامة الرأس ، ووجود غدد السم خلف العينين ، ولا يملك الإنسان لها دفعاً إلا إذا تناول المصل الواقى وإلا مات بعد قليل .

قصة سيدنا موسى والثعبان :

عاش سيدنا موسى حياة حافلة بالأخطار ، فقد وضعته أمه بعد ولادته فى صندوق ورمت به فى نهر النيل بالهام من الله ، لما خافت عليه أن يذبحه فرعون ، وكان يذبح الذكور من أبناء بنى إسرائيل ﴿وَأَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّ مُوسَىٰٓ أَنْ أَرْضِعِيهِ ۖ فَإِذَا خِفْتِ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِى ٱلْيَمِّ وَلَا تَخَافِى وَلَا تَحْزَنِىٓ ۖ إِنَّا رَآدُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ ٱلْمُرْسَلِينَ ﴿٧﴾﴾ [القصص: الآية ٧] .

ومضى التابوت حتى وصل إلى قصر فرعون ، وأخذه الخدم إلى امرأة فرعون ، وكانت ملكة صالحة مؤمنة تكتم إيمانها ، فألقى الله محبته فى قلبها ﴿إِذْ أَوْحَيْنَآ إِلَىٰٓ أُمِّكَ مَا يُوحَىٰٓ ﴿٣٨﴾ أَنِ ٱقْذِفِيهِ فِى ٱلتَّابُوتِ فَٱقْذِفِيهِ فِى ٱلْيَمِّ فَلْيُلْقِهِ ٱلْيَمُّ بِٱلسَّاحِلِ يَأْخُذْهُ عَدُوٌّ لِّى وَعَدُوٌّ لَّهُۥ ۚ وَأَلْقَيْتُ عَلَيْكَ مَحَبَّةً مِّنِّى وَلِتُصْنَعَ عَلَىٰ عَيْنِىٓ ﴿٣٩﴾﴾ [طه: الآيتان ٣٨، ٣٩] .

ولما جاء فرعون وعرف بأمره طلب أن يذبحه ، فتوسلت إليه السيدة آسية امرأة فرعون أن يتركه لها ، وهى لم تنجب ولتتخذه ولداً وسيكون تحت سمعهم وأبصارهم ، ورضى فرعون ونجا موسى ﴿وَقَالَتِ ٱمْرَأَتُ فِرْعَوْنَ قُرَّتُ عَيْنٍ لِّى وَلَكَ ۖ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَىٰٓ أَن يَنفَعَنَآ أَوْ نَتَّخِذَهُۥ وَلَدًا وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿٩﴾﴾ [القصص: الآية ٩] .

ولكى يعود موسى لأمه رفض كل ثدى امتد إليه ، رغم كثرة المراضع ، وكانت أخته تراقب الموقف ، فلما علمت أن موسى رفض كل ثدى دلتهم على أمه ، فعاد إليها ، وحقق الله وعده الأول : ﴿وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَىٰ فَارِغًا إِن كَادَتْ لَتُبْدِي بِهِۦ لَوْلَآ أَن رَّبَطْنَا عَلَىٰ قَلْبِهَا لِتَكُونَ مِنَ ٱلْمُؤْمِنِينَ ﴿١٠﴾ وَقَالَتْ لِأُخْتِهِۦ قُصِّيهِ فَبَصُرَتْ بِهِۦ عَن جُنُبٍ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ ﴿١١﴾﴾ [القصص: الآيتان ١٠، ١١] .

وعاش موسى فى قصر فرعون ، وكان يدعى (ابن فرعون) ويلقب (بالأمير موسى) وسمى بموسى لأنه وجد بين (الشجر والماء) (مو) ماء (سى) شجر ، ثم قتل المصرى وهرب إلى مدين وتزوج هناك وغاب عن مصر عشر سنوات .

ثم ساقته العناية الإلهية للعودة عن طريق (سيناء) وهناك فى (الوادى المقدس طوى) بجوار (جبل الطور) وكانت ليلة مظلمة باردة وليس معه نار ، فرأى ناراً معلقة بين السماء والأرض ، فنصح أهله بالبقاء مكانهم حتى يذهب إلى هذه النار ويستطلع أخبارها ، ويعرف من أهلها أين هو ، ويأتى بنار للدفء من هذا البرد ﴿وَهَلْ أَتَىٰكَ حَدِيثُ مُوسَىٰٓ ﴿٩﴾ إِذْ رَءَا نَارًا فَقَالَ لِأَهْلِهِ ٱمْكُثُوٓاْ إِنِّىٓ ءَانَسْتُ نَارًا لَّعَلِّىٓ ءَاتِيكُم مِّنْهَا بِقَبَسٍ أَوْ أَجِدُ عَلَى ٱلنَّارِ هُدًى ﴿١٠﴾﴾ [طه: الآيتان ٩، ١٠] .

ولما اقترب منها وجد النار تخرج من خلال شجرة مباركة ، وسمع من يناديه (يا موسى) وعجب من الذى يعرفه فى هذه المنطقة ، ومن الذى رآه فى هذه الظلمة الشديدة ، وفى هذا الجو البارد ، وطمأنه مولاه وأخبره أن الذى يناديه هو الله ، وأخبره أنه فى مكان مقدس من سيناء (هو الوادى المقدس طوى لرسالة عظمى ، وحدد له العقيدة : الإيمان بالله والإيمان باليوم الآخر) وكان موسى عليه السلام على عقيدة التوحيد لكن الله أصلها فى عقله وجوارحه .

﴿فَلَمَّآ أَتَىٰهَا نُودِىَ يَٰمُوسَىٰٓ ﴿١١﴾ إِنِّىٓ أَنَا۠ رَبُّكَ فَٱخْلَعْ نَعْلَيْكَ ۖ إِنَّكَ بِٱلْوَادِ ٱلْمُقَدَّسِ طُوًى ﴿١٢﴾ وَأَنَا ٱخْتَرْتُكَ فَٱسْتَمِعْ لِمَا يُوحَىٰٓ ﴿١٣﴾ إِنَّنِىٓ أَنَا ٱللَّهُ لَآ إِلَٰهَ إِلَّآ أَنَا۠ فَٱعْبُدْنِى وَأَقِمِ ٱلصَّلَوٰةَ لِذِكْرِىٓ ﴿١٤﴾ إِنَّ ٱلسَّاعَةَ ءَاتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا لِتُجْزَىٰ كُلُّ نَفْسٍۭ بِمَا تَسْعَىٰ ﴿١٥﴾ فَلَا يَصُدَّنَّكَ عَنْهَا مَن لَّا يُؤْمِنُ بِهَا وَٱتَّبَعَ هَوَىٰهُ فَتَرْدَىٰ ﴿١٦﴾﴾ [طه: الآيات ١١-١٦] .

وموسى مصغ لكلام ربه ، فاجأه بسؤال عجيب عن الشىء الذى فى يده ، وكان يمكن أن يقول هى عصا لكنه توسع فى الشرح استند إليها وأجمع بها الغنم واستخدمها فى أمور أخرى كان اغرسها واستظل بها ﴿وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَٰمُوسَىٰ ﴿١٧﴾ قَالَ هِىَ عَصَاىَ أَتَوَكَّؤُا۟ عَلَيْهَا وَأَهُشُّ بِهَا عَلَىٰ غَنَمِى وَلِىَ فِيهَا مَـَٔارِبُ أُخْرَىٰ ﴿١٨﴾﴾ [طه: الآيتان ١٧، ١٨] .

وطلب منه مولاه أن يتخلص منها بإلقائها على الأرض ، وظن موسى أنه لا يليق به أن يمسك بعصا فى حضرة الرب ، ولكن المفاجأة كانت أعظم فبمجرد أن ألقاها تحولت إلى ثعبان رهيب : ﴿قَالَ أَلْقِهَا يَٰمُوسَىٰ ﴿١٩﴾ فَأَلْقَىٰهَا فَإِذَا هِىَ حَيَّةٌ تَسْعَىٰ ﴿٢٠﴾﴾ [طه: الآيتان ١٩، ٢٠] .

وتقدمت الحية نحوه فترك المكان ولقاء الله وهرول مسرعاً يلوذ بالفرار، كأنما الحية تطارده ، ولم ينظر وراءه ، وقد رآها كأنها (أعتى الحيات) ، **أو كالحبل الغليظ ، أو أنها جنى يأتى بحركات مرعبة فجرى** بعيداً ﴿وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ ۖ فَلَمَّا رَءَاهَا تَهْتَزُّ كَأَنَّهَا جَآنٌّ وَلَّىٰ مُدْبِرًا وَلَمْ يُعَقِّبْ ۚ يَٰمُوسَىٰٓ أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ ۖ إِنَّكَ مِنَ ٱلْءَامِنِينَ ﴿٣١﴾﴾ [القصص: الآية ٣١] .

وأمنه الله فهدأت نفسه وربط على قلبه ، ثم أمره أن يلتقطها ، وفى هذه المرة خجل من مولاه ، وأقبل عليها وأمسك بها ، فإذا هى عصاه التى كانت فى يده : ﴿قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ ۖ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا ٱلْأُولَىٰ ﴿٢١﴾﴾ [طه: الآية ٢١] ، والمتشككون قالوا : (إن القرآن متناقض فمرة يقول :

« حية » ، ومرة يقول « ثعبان » والحقيقة أنه لا تضارب (فالثعبان) هو الجنس للثعابين (والحية) نوع أنثى ، وأنثى الثعابين أعتى من الذكر .

ولذلك لما واجه فرعون وبعد ذلك السحرة كان واثقاً من نفسه ، وتأييد ربه ، ولهذا وجه كلامه لفرعون قال : ﴿قَالَ أَوَلَوْ جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُّبِينٍ ﴿٣٠﴾ قَالَ فَأْتِ بِهِ إِن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ ﴿٣١﴾ فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُّبِينٌ ﴿٣٢﴾﴾ [الشعراء : الآيات ٣٠- ٣٢] .

واعتبره فرعون ساحراً ، وأن موسى غاب فى مدين عشر سنوات ، تعلم فيها السحر ، وهو يريد أن يحتل مكانة السحرة ، وما درى فرعون أنها معجزة ووقع فرعون فى الفخ لما حدد المكان والزمان لمباراة موسى مع السحرة : ﴿قَالَ أَجِئْتَنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا بِسِحْرِكَ يَا مُوسَىٰ ﴿٥٧﴾ فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِّثْلِهِ فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا لَّا نُخْلِفُهُ نَحْنُ وَلَا أَنتَ مَكَانًا سُوًى ﴿٥٨﴾ قَالَ مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزِّينَةِ وَأَن يُحْشَرَ النَّاسُ ضُحًى ﴿٥٩﴾﴾ [طه : الآيات ٥٧- ٥٩] .

وكان السحرة يمارسون سحرهم ليلاً ، ويستخدمون أساليب الحواة يلقون العصى والحبال فيخيل للرائى أنها ثعابين تتحرك ، والحقيقة أنه خداع بصرى (فالساحر لا يغير الأشياء) .

ولقد نازل موسى السحرة وأخبرهم قبل بدء المباراة أنه ليس بساحر ، وإنما هو رسول رب العالمين ، وأنه إذا تفوق عليهم لابد وأن يؤمنوا به وإلا أنزل الله عليهم غضبه فى هذه الساحة أمام الجماهير : ﴿فَتَوَلَّىٰ فِرْعَوْنُ فَجَمَعَ كَيْدَهُ ثُمَّ أَتَىٰ ﴿٦٠﴾ قَالَ لَهُم مُّوسَىٰ وَيْلَكُمْ لَا تَفْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا فَيُسْحِتَكُم بِعَذَابٍ وَقَدْ خَابَ مَنِ افْتَرَىٰ ﴿٦١﴾﴾ [طه : الآيتان ٦٠ ، ٦١] .

فألقى الرعب فى قلوبهم ، وأحدث خلافاً بينهم ، ثم مضوا وسألوه (أتبدأ أنت) أم نبدأ نحن ، فترك لنفسه الجولة الأخيرة ، فألقوا حبالهم وعصيهم واستعزوا بعزة فرعون ، فخيل للناس أنها ثعابين تتحرك حتى موسى نفسه خدع وخاف ، ولكن الله أيده وثبته وأمره بإلقاء عصاه ﴿قَالُوا

﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِمَّآ أَن تُلۡقِيَ وَإِمَّآ أَن نَّكُونَ أَوَّلَ مَنۡ أَلۡقَىٰ ۝٦٥ قَالَ بَلۡ أَلۡقُواْۖ فَإِذَا حِبَالُهُمۡ وَعِصِيُّهُمۡ يُخَيَّلُ إِلَيۡهِ مِن سِحۡرِهِمۡ أَنَّهَا تَسۡعَىٰ ۝٦٦ فَأَوۡجَسَ فِي نَفۡسِهِۦ خِيفَةٗ مُّوسَىٰ ۝٦٧ قُلۡنَا لَا تَخَفۡ إِنَّكَ أَنتَ ٱلۡأَعۡلَىٰ ۝٦٨ وَأَلۡقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلۡقَفۡ مَا صَنَعُوٓاْۖ إِنَّمَا صَنَعُواْ كَيۡدُ سَٰحِرٖۖ وَلَا يُفۡلِحُ ٱلسَّاحِرُ حَيۡثُ أَتَىٰ ۝٦٩﴾ [طه : الآيات ٦٥- ٦٩] .

واطمأن موسى إلى نصر الله وهاجم السحرة ، وأبطل سحرهم ، وأكد لهم الهزيمة : ﴿فَلَمَّآ أَلۡقَوۡاْ قَالَ مُوسَىٰ مَا جِئۡتُم بِهِ ٱلسِّحۡرُۖ إِنَّ ٱللَّهَ سَيُبۡطِلُهُۥٓۖ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يُصۡلِحُ عَمَلَ ٱلۡمُفۡسِدِينَ ۝٨١ وَيُحِقُّ ٱللَّهُ ٱلۡحَقَّ بِكَلِمَٰتِهِۦ وَلَوۡ كَرِهَ ٱلۡمُجۡرِمُونَ ۝٨٢﴾ [يونس: الآيتان ٨١، ٨٢] .

وشهدت الجماهير وخيل للناس أن الثعبان سينقض عليهم ، ويلتهمهم ، وبدءوا فى الجرى حتى فرعون ومن معه انزعجوا وفكروا فى الهرب ، والسحرة تأكد لهم أنه ليس بساحر ، ولو كان كذلك لكشفوه ، فخروا لله سجداً وأعلنوا الإيمان برب موسى وهارون .

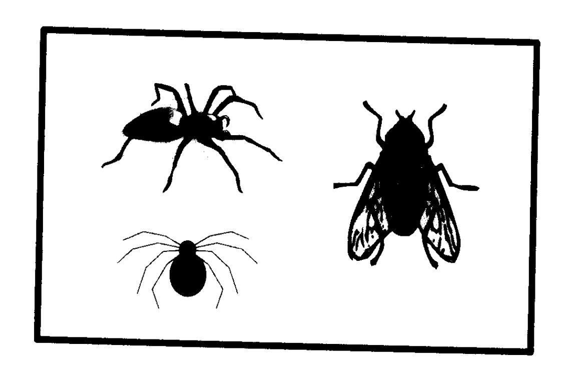
وتناول موسى الثعبان فإذا هو عصا كما كانت بحجمها ورسمها ، فأين ذهب سحرهم : ﴿فَأُلۡقِيَ ٱلسَّحَرَةُ سُجَّدٗا قَالُوٓاْ ءَامَنَّا بِرَبِّ هَٰرُونَ وَمُوسَىٰ ۝٧٠﴾ [طه : الآية ٧٠] ، فكان الهدف من معجزة العصا والثعبان أن يبطل الله السحر الذى استشرى فى المجتمع المصرى ، واستخدمه فرعون فى إرهاب الناس .

والسحرة عبروا عن ذلك لما هددهم فرعون بتقطيع الأيدى والأرجل من خلاف ، والتصليب فى جذوع النخل .

وواضح أن بنى إسرائيل الذين كان من المفترض أن يناصروا موسى عليه السلام غابوا فى الزحام ، ثم ظهروا بعد ذلك ليعاتبوه ويهاجموه : ﴿قَالُوٓاْ أُوذِينَا مِن قَبۡلِ أَن تَأۡتِيَنَا وَمِنۢ بَعۡدِ مَا جِئۡتَنَاۚ قَالَ عَسَىٰ رَبُّكُمۡ أَن يُهۡلِكَ عَدُوَّكُمۡ وَيَسۡتَخۡلِفَكُمۡ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَيَنظُرَ كَيۡفَ تَعۡمَلُونَ ۝١٢٩﴾ [الأعراف : الآية ١٢٩] .

فالذين آمنوا بموسى حقاً كانوا هم السحرة ، وكانوا خلاصة المصريين .

١٧ - قصص الحشرات



الحشرات سبقت الإنسان منذ آلاف السنين ، ومع ذلك فهو يعتبرها مزاحمة له فى الأرض ، مع أنه الدخيل عليها ، وارتبطت كلمة (حشرة) فى الأذهان بالشيء الحقير ، مع أن الحشرات تخدم الإنسان خدمات هائلة .

والحشرات أكثر خلق الله على الأرض فهى موجودة فى البر والبحر والجو والسهل والجبل ، وتأكل كل شيء حتى الحديد .

ومنها الدنئ : الذى يعيش على الأجسام والقاذورات (كالذباب) ، ومنها الرفيع : الذى يمد الإنسان بالخير (فالنحل) يمده بالعسل المصفى الذى هو شفاء للناس (ودودة القز) تعطيه الحرير لعمل أعظم الملابس .

والحشرات تميل إلى الحياة الاجتماعية ، ولها ممالك وعادات وتقاليد ، وتهتم بالنظام والتعاون والنظافة أكثر من الإنسان ، (كالنمل والنحل) .

ومنها المخرب : عدو الخضرة الذى يأتى فى أسراب هائلة تسد عين الشمس فيمر بالأرض المزروعة فلا يترك فيها ورقة خضراء (كالجراد) ، وهى أقوى من الإنسان ، تتحمل الحرارة الشديدة والبرودة القاسية ، وهى

أكثر الكائنات تناسلاً ، وتصل إلى غذائها بسهولة ، وتنزل بالإنسان أضراراً بالغة فى جسمه وأمتعته .

وكما أشرنا منها الذى ينفع الإنسان (كدودة القز التى تخرج الحرير) (والنحل الذى يخرج العسل) (والخنافس والجعلان) التى تقلب التربة وتجعلها صالحة للزراعة (والنحل) يساعد فى (تلقيح النبات) حين ينتقل من زهرة إلى زهرة .

(والنحل) هو صانع (الشموع) التى نستخدمها فى الإضاءة ، وكانت لها أهمية قبل اختراع الكهرباء واكتشاف البترول .

وأدق أنواع الصباغة من الحشرات ، وتدخل فى كثير من الأدوية والعقاقير والمراهم .

النحل مملكة الكفاح :

نتعلم من النحل العمل الدائب دون كلل ونظافة المكان والنظام والتعاون ، وتمنح الإنسان ثروة من العسل والشمع .

والنحل أول من طبق النظام الاشتراكى والتكافل الاجتماعى ، فالنحلة تملأ بطنها برحيق الأزهار ، حتى تكاد تنفجر وتطير مسافات بعيدة لتغذى صغارها ، ولكى تصنع العسل .

وعرف النحل طريقة سرية لحفظ الطعام قبل أن يكتشف الإنسان الثلاجات ، وبعض الشغالات فى مملكة النحل تعمل كخزانات للمياه لتسقى الصغار .

والنحل لا يخطئ موقعه ولا خلاياه ، ولو سار مئات الأميال ليلاً أو نهاراً ويستخدم لغةالرقص ولكل رقصة إشارة .

وبعض النحل يقوم بالحراسة والدفاع ، والبعض يقوم بالتهوية ، والبعض برعايةالصغار ، والنحل لا يتبرز داخل الخلية بل خارجها ، وسبق النحل

الإنسان فى أساسيات الحضارة (فقد عاش فى الجبال، وعلى فروع الأشجار، وفى الخلايا الصناعية التى صنعها الإنسان) .

وهذه هى دورة الإنسان لما هبط إلى الأرض عاش فى الكهوف والمغارات يختبئ من الوحوش والزواحف العملاقة ، ثم انتقل إلى ضفاف الأنهار وصنع بيوتاً من طين من فروع الأشجار ، ثم أقام بعد ذلك العمائر وناطحات السحاب .

والله يثنى على النحل ودوره البناء وأنه رائد الإنسان فى الحضارة : ﴿وَأَوْحَىٰ رَبُّكَ إِلَى ٱلنَّحْلِ أَنِ ٱتَّخِذِى مِنَ ٱلْجِبَالِ بُيُوتًا وَمِنَ ٱلشَّجَرِ وَمِمَّا يَعْرِشُونَ ﴿٦٨﴾ ثُمَّ كُلِى مِن كُلِّ ٱلثَّمَرَٰتِ فَٱسْلُكِى سُبُلَ رَبِّكِ ذُلُلًا ۚ يَخْرُجُ مِنۢ بُطُونِهَا شَرَابٌ مُّخْتَلِفٌ أَلْوَٰنُهُۥ فِيهِ شِفَآءٌ لِّلنَّاسِ ۗ إِنَّ فِى ذَٰلِكَ لَءَايَةً لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ ﴿٦٩﴾﴾ .

[النحل : الآيتان ٦٨، ٦٩]

وقد ثبت أن عسل النحل يشفى من أمراض كثيرة حتى مرض الإيدز أجريت تجارب وثبت فعاليته ، والرسول ﷺ يقول : « **عليكم بالشفاءين العسل والقرآن** » .

الذبابة قاهرة الإنسان :

حشرة قذرة ترتع فى القاذورات وتنقل للإنسان الأمراض المختلفة وأخصها (الرمد) ورغم ضعف جسمها ودقة خلقها فإنها تدل على عظمة الخالق ، فالجن والإنس معاً لو اجتمعوا فى صعيد واحد لا يستطيعون أن يخلقوا ذبابة ، لأن بها الحياة التى هى سر من أسرار الألوهية ، وإذا أخذت من الإنسان شيئاً لا يستطيع رده ، وخاصة ما يتعلق بالصحة ، وهى تجاوره وتناوره وتطن فى أذنه وتضج مضجعه ولا سبيل إلى الخلاص منها إلا بالمبيدات الحشرية : ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلنَّاسُ ضُرِبَ مَثَلٌ فَٱسْتَمِعُوا۟ لَهُۥٓ ۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ تَدْعُونَ مِن دُونِ ٱللَّهِ لَن يَخْلُقُوا۟ ذُبَابًا وَلَوِ ٱجْتَمَعُوا۟ لَهُۥ ۖ وَإِن يَسْلُبْهُمُ ٱلذُّبَابُ شَيْـًٔا لَّا يَسْتَنقِذُوهُ مِنْهُ ۚ ضَعُفَ ٱلطَّالِبُ وَٱلْمَطْلُوبُ ﴿٧٣﴾﴾ [الحج : الآية ٧٣] .

وإذا لم تطرد الذباب من مسكنك قبل غروب الشمس يحتل سكنك ويضايقك ليلاً ، ولهذا نلجأ إلى إغلاق النوافذ وإظلام المكان حتى لا يقرب الذباب ، فهو يجرى وراء النور .

البعوضة أدق المخلوقات :

أراد الله أن يضرب المثل بعظمة خلقه ، فضرب بالبعوضة مثلاً فى ذلك ، وأنه سبحانه لا يستحى أن يتحدث عن البعوضة ، فهى مخلوق دقيق ، وهناك ما هو أدق منها مثل (الميكروبات والجراثيم والفيروسات) التى ظهرت بعد اختراع المجاهير المكبرة للصورة آلاف المرات .

والبعوض ينتشر فى الأماكن التى بها ماء على الترع والبرك ، وفى موسم زراعة الأرز .

والبعوضة لها أنبوبة ماصة تمتص بها دماء الإنسان ، وتنقل إليه مرضاً خطيراً هو (الملاريا) و(الحمى الصفراء) فلا يقتصر دورها على امتصاص الدم بل نقل الأمراض الخطيرة ، ولكثرة البعوض فى أفريقيا الوسطى أطلق عليها (مقبرة الرجل الأبيض) .

وللوقاية من البعوض لا يكفى المبيد الحشرى فى البيوت ، وإنما القضاء عليه فى البرك والمستنقعات ، والتخلص من كل المسطحات المائية المكشوفة والعناية بالصرف الصحى السليم .

والله يبين أنه هناك مخلوقات لا ترى أدق من البعوضة ﴿ إِنَّ ٱللَّهَ لَا يَسْتَحْيِۦٓ أَن يَضْرِبَ مَثَلًا مَّا بَعُوضَةً فَمَا فَوْقَهَا ۚ فَأَمَّا ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ فَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ ٱلْحَقُّ مِن رَّبِّهِمْ ۖ وَأَمَّا ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ فَيَقُولُونَ مَاذَآ أَرَادَ ٱللَّهُ بِهَٰذَا مَثَلًا ۘ يُضِلُّ بِهِۦ كَثِيرًا وَيَهْدِى بِهِۦ كَثِيرًا ۚ وَمَا يُضِلُّ بِهِۦٓ إِلَّا ٱلْفَٰسِقِينَ ﴿٢٦﴾ ٱلَّذِينَ يَنقُضُونَ عَهْدَ ٱللَّهِ مِنۢ بَعْدِ مِيثَٰقِهِۦ وَيَقْطَعُونَ مَآ أَمَرَ ٱللَّهُ بِهِۦٓ أَن يُوصَلَ وَيُفْسِدُونَ فِى ٱلْأَرْضِ ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ هُمُ ٱلْخَٰسِرُونَ ﴿٢٧﴾ ﴾
[البقرة : الآيتان ٢٦، ٢٧] .

وقد روى أن ملكاً طاغية عاكسته بعوضة وظلت تلدغه وتطن فى أذنه ولا يستطيع إبعادها ، فسأل فيلسوفاً : لماذا خلق الله البعوض ، وهو لا يدرى أسرار ذلك لكنه أجابه (ليذل به الجبابرة) فسكت الملك .

والرسول عليه الصلاة والسلام يحقر من الدنيا ويحذر المسلم أن يركن إليها فهى دار غرور وفانية ، أما الآخرة فهى الدار الباقية فيقول : « **لو أن الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ما سقى الكافر منها شربة ماء** » .

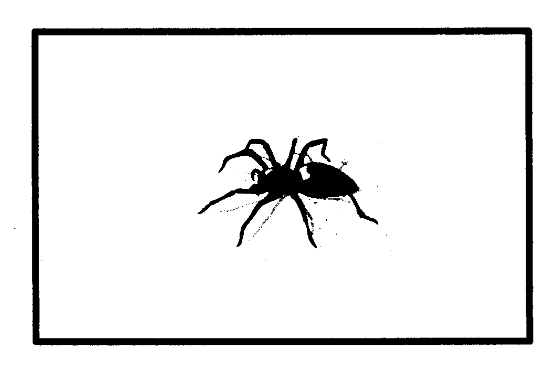
والحشرات عموماً كانت من وسائل تعذيب الله لفرعون ومن معه ، لما طغوا وكذبوا موسى وصدوا عن سبيل الله ، سلط الله عليهم (الفيضان) فأغرق الأرض ، وقضى على كل المحاصيل ، ثم سلط عليهم (الجراد) فأكل كل ما هو أخضر وحول الأرض إلى صحراء ، ثم سلط عليهم (القمل) وهو صغار الحشرات تفتك بالأجساد وبالزراعة وبكل شىء وتنقل لهم الأمراض ، ثم سلط عليهم (الضفادع) تهاجمهم فى بيوتهم وتضج مضاجعهم بنقيقها المستمر ﴿فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ ٱلطُّوفَانَ وَٱلْجَرَادَ وَٱلْقُمَّلَ وَٱلضَّفَادِعَ وَٱلدَّمَ ءَايَٰتٍ مُّفَصَّلَٰتٍ فَٱسْتَكْبَرُوا۟ وَكَانُوا۟ قَوْمًا مُّجْرِمِينَ ﴿١٣٣﴾﴾ [الأعراف : الآية ١٣٣] .

وأشد أنواع الجراد الجراد الصحراوى الذى كان يغير على مصر ويقضى على زراعتها ، وتقدمت البحوث فى القضاء عليها ، وأهل نجد يحبون أكل الجراد كما نأكل الفول السودانى .

والقمل : هو حشرة صغيرة تعيش متطفلة على الإنسان ، والحيوان ، وهذا (القمل القارض) يقضى على الطيور وخاصة المنزلية كما يوجد صنف منها يصيب الأبقار بالأمراض ، ويوجد بالقمل انبوبة ثاقبة ماصة للدماء .

والضفادع : حيوانات برمائية تعيش فى الحقول والمزارع والحدائق ولابد وأن تعيش بين الماء والطين ، وهى لا تبيض إلا فى الماء وتفرز مادة مخاطية لتلتصق فيها الحشرات ، ولها لسان إلى الداخل يصطاد الحشرات ، ولا شك أن الضفادع رغم إزعاجها تفيد الإنسان لأنها تقضى على كثير من الحشرات .

١٨ - العنكبوت



يصنع خيوطه من غدد ويفرزها ويبنى بيته فى شكل هندسى متناسق ، وضرب به المثل فى الضعف ولذلك صور الله عقيدة المشركين بالوهن كخيوط العنكبوت ﴿مَثَلُ ٱلَّذِينَ ٱتَّخَذُواْ مِن دُونِ ٱللَّهِ أَوۡلِيَآءَ كَمَثَلِ ٱلۡعَنكَبُوتِ ٱتَّخَذَتۡ بَيۡتٗاۖ وَإِنَّ أَوۡهَنَ ٱلۡبُيُوتِ لَبَيۡتُ ٱلۡعَنكَبُوتِۚ لَوۡ كَانُواْ يَعۡلَمُونَ ٤١﴾ [العنكبوت : الآية ٤١] .

ويستخدم العنكبوت خيوطه فى صيد الذباب والقمل والحشرات الصغيرة ليتغذى بها ، فالخيوط لزجة تلتصق فى أرجل الحشرات وهناك أنواع من العناكب سامة .

* * *

١٩ - الأســد

هو ملك الحيوانات وأقواها ، وأشدها بأساً ، وهو عفيف لا يأكل الميتة



ولا يأكل بقايا الشيء ، ولا يعتدى على فريسته إلا إذا كان جائعاً ، وهو سريع جداً وعضلاته فى منتهى القوة ، وضربة من يده تسقط أعتى الفرائس .

وإذا كان جائعاً ورأى قطيعاً من الحمير الوحشية هاجمها وعينه على واحدة منها ما يزال يطاردها حتى ينال منها ، والحيوانات تهابه ، والله عز وجل صور المشركين وهم فارون من القرآن ومن دعوة الحق بالحمير الوحشية النافرة والأسد وراءها ، والحمير تجرى فراراً بحياتها ، أما المشركون فهم يهربون من الجنة إلى النار .

وللأسد أسماء كثيرة منها : (الضيغم) (الليث) (الرئبال) (القسورة) وهذه كلمة حبشية لكن العرب تعارفوا عليها ، فالله ينذر المشركين ويتساءل ﴿فَمَا لَهُمْ عَنِ ٱلتَّذْكِرَةِ مُعْرِضِينَ ﴿٤٩﴾ كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُّسْتَنفِرَةٌ ﴿٥٠﴾ فَرَّتْ مِن قَسْوَرَةٍۭ ﴿٥١﴾﴾ [المدثر: الآيات ٤٩- ٥١] .

والأسد إذا كشر عن أنيابه فلن يتراجع إلا إذا نال من خصمه أو مات ولهذا يقول المتنبى :

إذا رأيت نيوب الليث بارزة فلا تظنن أنْ الليث يبتسم

فهرس الكتاب

الموضـــوع الصفحة

رقم الإيداع بدار الكتب ٣٦٧٩ / ٢٠٠٠

دار النصر للطباعة الإسلامية
٢ - شارع نشاطى شبرا القاهرة
الرقم البريدى ــ ١١٢٣١